لماذا أسلمت؟
الحسن بن أيوب
أحد كبار علماء النصارى
تحقيق وتعليق
محمود النيجيرى
ماجستير فى مقارنة الأديان
مكتبة النافذة
http://kotob.has.it

12 M95

لماذا أسلمت

الحسن بن أيوب

أحد كبار علماء النصارى

تحقيق وتعليق

محمود النيجيرى

ماجستير فى مقارنة الأديان

الناشر

مكتبة النافذة

لماذا أسلمت؟

تأليف: الحسن بن أيوب

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

رقم الإيداع ٢٠٠٦/١٦٦٠٩

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدى

الثلاثيني (ميدان الساعة) - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٣

alnafezah@hotmail.com



قال الله تعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

(المائدة:٨٢)

مقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

اهتم القرآن الكريم من البداية بأهل الكتاب[1] باعتبارهم الامتداد الطبيعي لرسالة الإسلام، والفريق الأول بالدعوة والاستجابة قبل غيره؛ لأن أصولا مشتركة تجمع بين أهل الكتاب ودعوة الإسلام. كما أن الرسول ﷺ شاء الله أن يعامل في حياته طوائف اليهود والنصارى في غالب مراحل دعوته؛ لذلك خاطبهم الله ﷻ قائلا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:٦٤).

---

[1] ورد النداء: {يا أهل الكتاب} في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة. غير الآيات الأخرى التي تحاور اليهود والنصارى وتجادلهم.

والقرآن يناقش أهل الكتاب في عقائدهم المبتدعة، وما حرفوه من كتبهم، ويأمرهم بالإيمان بنبوة محمد ﷺ التي بشَّر بها أنبياؤهم، وحوتها كتبهم، ويحذرهم أن يكونوا أول كافر به، فالرسول مصدق لما معهم، والقرآن مهيمن على كتبهم بعد أن نسخها، واشتمل على أحسن ما فيها، وصدَّق عليه. كما في قوله سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ {١٥} يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {١٦}﴾(المائدة). ويقول أيضًا: ﴿وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (البقرة:٤١).

والإسلام هو دين الله الذي ارتضاه لنفسه ولأنبيائه ورسله وملائكة قدسه. فبه اهتدى المهتدون، وإليه دعا الأنبياء والمرسلون، يقول الله ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(آل عمران:٨٣). فلا يقبل الله من أحد دينا سواه من الأولين والآخرين، كما بين بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٥).

ومن هنا وجب على كل من سمع بالنبي محمد ﷺ أن يؤمن به، ويتبع ما أوحاه الله إليه، كما قال في حديثه: "والذي نفسي محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلا كان من أصحاب النار"[1].

وعلى هذا دار الجدل الديني بين علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب، وصار

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته (١٥٣). وأحمد في المسند (٨١٨٨).

جزءًا من ثقافة المشرق. كما آمن كثير من علماء أهل الكتاب بالإسلام، فكان لهم دور كبير في هذا الجدال، بما أوتوا من معرفة عميقة بالنصوص الكتابية ومقالات طوائف اليهود والنصارى. ومنهم من ألف كتبا في هذا الجانب كان لها قيمة تاريخية وعلمية هامة. وأهم هؤلاء من القدماء:

١. السموأل بن يحيى المغربي (شموئيل بن يهوذا بن آبون). الذي كتب "إفحام اليهود".

٢. عبد الله الترجمان الأندلسي (أنسلم تورميدا). وكتب "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب".

٣. على بن ربن الطبري. وكتب "الرد على أصناف النصارى".

٤. الحسن بن أيوب. وكتب رسالتنا هذه. ولم يضع لها عنوانا.

من هو الحسن بن أيوب؟

قال ابن النديم في الفهرست:

"الحسن بن أيوب: من المتكلمين. وله من الكتب كتاب إلى أخيه علي بن أيوب في الرد على النصارى، وتبيين فساد مقالتهم، وتثبيت النبوة"[1].

لماذا تأخر إسلام الحسن بن أيوب؟

كل وقت هو صالح لاعتناق الحق والدخول في النور، أو إظهار هذا الاعتناق وإعلانه بين الناس. ومع ذلك يلجأ الخصوم دائمًا إلى التشويش على الحق، فيطرحون السؤال: إذا كان ما اعتنقتَ حقٌّ، فلماذا تأخر إعلانه والدخول فيه؟

---

[1] الفهرست: محمد بن إسحاق النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص٢٤٦.

وقد بيّن الحسن أنه كان يجيل الفكر في اعتناق دين الإسلام، ولكن أسبابًا كانت تؤدي به إلى الإبطاء، والتسويف، وهي:

١- إلف دينه السابق، وطول العهد عليه. وهذا سبب نفسي.

٢- ارتباطه بأهل دينه السابق، وخصوصًا أسرته، وأقاربه، وأحبابه، وجيرانه من النصارى. وهذا سبب اجتماعي.

٣- السعي إلى المزيد من اليقين بدراسة القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، والزبور. والتأمل في مقالات النصارى وعقيدتهم. وهذا سبب عقلي.

وقد قيل مثل هذا للسموأل فأجاب:

"﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(البقرة:١٤٢). تأملت ما ذكره هذا المعترض السائل عما لا يعنيه. فليعلم أن الله هداني بالدليل الواضح، والحجة الثابتة، من غير تقليد لمعلم أو والد. وأما سؤاله عن وقت الإذعان بالكلمة الإسلامية: هل كان تاليًا لاعتقادها؟ أو تخلل بينهما زمان كانت هذه الكلمة فيه مضمرة، غير مظهرة؟ فهو ضرب من الفضول؛ لأن الإسلام مقبول عند الله وعند أهل الدين في أي الوقتين كان! وأما نسبته لتأخير إظهاره إلى العبث. فمن أين له أن تأخير الإذعان والإشهار لم يكن لتوخي وقت، أو لمحاذرة عدو؟!"[1].

---

[1] إفحام اليهود: السموأل بن يحيى المغربي، تحقيق: د.محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٩٠م، ص١٨٧.

شهادة ابن تيمية للحسن بن أيوب

ما كتبه الحسن بن أيوب يُظْهِرُ أنه دارسٌ متخصص، مُطَّلِع على النصوص والمصادر الأساسية في الديانة النصرانية، وما يدور بين أهلها من مشافهات ومحاورات. لذلك كان له قيمته العلمية، وتأثيره الكبير في اللاحقين.

ومن هنا وجدنا ابن تيمية ينقل كتاب الحسن كاملا، ضمن كتابه الفذ الذي يعد موسوعة في مقارنة الأديان، وهو "الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح". ولم يفعل ابن تيمية ذلك مع كتاب آخر قط. إذ يعد كلام الحسن شهادة من أهلها، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾(الرعد:٤٣).

وقد زكّى ابنُ تيمية الحسنَ بن أيوب تزكية صريحة فقال:

"قلت: ومِنْ أخبر الناس بمقالاتهم، مَنْ كان من علمائهم، وأسلمَ على بصيرة، بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم، كالحسن بن أيوب، الذي كتبَ رسالة إلى أخيه علي بن أيوب، يذكر فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى، وصحة دين الإسلام"[1].

وقال ابن تيمية أيضًا:

"قلتُ: هذا آخر ما كتبتُهُ، من كلام الحسن بن أيوب. وهو ممن كان من أجلاء علماء النصارى، وأخبر الناس بأقوالهم. فنقله لقولهم أصح من نقل غيره"[2].

ولم يكتف ابن تيمية بنقل كلام الحسن بن أيوب، ولكنه اهتم بالتعليق، ودفع ردود علماء النصارى عليه. وهذا يعني أن حوارًا جرى بين علماء المسلمين وعلماء النصارى حول كلام الحسن.

---

[1] الجواب الصحيح: ابن تيمية، دار العاصمة، الرياض، ٨٨/٤

[2] الجواب الصحيح ١٨٢/٤.

منهج الحسن بن أيوب في رسالته

يمكننا أن نقسم المناهج التي استخدمها علماؤنا في حقل مقارنة الأديان إلى ثلاثة مناهج رئيسية، هي:

١- المنهج السلفي.

٢- المنهج العقلي.

٣- منهج الإلزام.

أما المنهج السلفي في مقارنة الأديان، فرائده هو الإمام أحمد بن تيمية. وأصول هذا المنهج يمكن استشفافها من كتابه الفذ: "الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح". وهو منهج التسليم للنصوص الدينية؛ لذلك رأينا أن نسميه "المنهج السلفي أو الأثري في مقارنة الأديان".

والتسليم قديم في الناس، ولكن إلى ابن تيمية يرجع الفضل في جعله منهجًا برأسه في علم مقارنة الأديان، وإلى تلميذه ابن القيم يعود فضل إنضاجه.

ومنطق التسليم مخالف لمنطق علم الكلام: فالتسليم يبدأ من النص الديني، وعلم الكلام يبدأ من العقل. ويدعي علم الكلام التفوق على التسليم في منطقه، وأصحاب المنهج السلفي يؤكدون العكس.

ومنطق التسليم هو ما واجه به الرسول ﷺ الناس، خصوصا أهل الكتاب حين قال في سلاسة متناهية: "أسلمْ تَسلمْ"[1].

ولا يختص التسليم للنص الديني بالمؤمن به عند السلفيين، فغير المؤمن به

[1] أخرجه البخاري في نص كتاب النبي ﷺ إلى قيصر،كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (٧). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (١٧٧٣). وتكررت مثل هذه الدعوة إلى غير قيصر من الملوك والأمراء بلفظ قريب مما هو مذكور.

يواجَه بمطالبة التسليم للنص. وهذه دعوة الكتاب والسنة، وكما يقول د.يحيى هاشم فرغل:

"للتسليم منطق خاص، جاء به الإسلام من أول لحظة لظهوره، منطق يتوجه إلى الإنسان أياً كان، وفي أي عصر يكون"[1].

وهذا التسليم للآثار الدينية يتوام فكريا مع المنهج السلفي الآخذ بطريق أهل الحديث والسنة، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل الذي يعرف عن مذهبه الفقهي أنه نصي أثرى، يقدم الآثار على القياس، ولا يعتد بالرأي الذي لا دليل يسنده. والإجماع عنده هو ما كان فيه أثر عن صحابي. وغير ذلك يظنه الناس إجماعا، وليس هو كذلك. وهو لا يجعل حجة شرعية إلا في نص من الكتاب والسنة، أو غيرهما من الآثار عن الصحابة.

وانسحب هذا المنهج في جميع فروع العلم، في التفسير والأصول والفقه والعقائد والأخلاق... حتى وصل إلى المناظرة، سواء مع الفلاسفة والمتكلمين، أو مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى والصابئة، أو مع غيرهم من ملحدين ومشركين. فكل هؤلاء رد القرآن عليهم بقطعيات عقلية، وكذلك فعل النبي ﷺ مع من واجهه من جميع الفرق والطوائف.

وأما المنهج العقلي في مقارنة الأديان، فرائده أبو بكر الباقلاني. وهو يُعد أيضا المؤسس الحقيقي لعلم الكلام السني المستند إلى الدليل العقلي بدلا من النص. وهو الذي نقل الحجاج مع المخالفين إلى ميدان العقل النظري، بعد أن كان مَنْ تقدمه يستند إلى النصوص؛ فلا نجد عند الباقلاني سوى مقارعة الدليل بالدليل على الصورة الجدلية الخالصة المستقلة عن النصوص، ولا تتقيد إلا

---

[1] الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية: د.يحيى هاشم فرغل، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٨م، ص١٦.

بالمنطق وتمحيص أصول الآراء من الناحية العقلية.

وأما منهج الإلزام في مقارنة الأديان، فهو أكثرها استخداما في دراسات علمائنا. استخدمه ابن حزم في كتابه: "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، وأبو عبيدة الخزرجي في كتابه: "مقامع هامات الصلبان"، والسموأل بن يحيى المغربي في كتابه: "بذل المجهود في إفحام اليهود"، والقرافي في كتابه: "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة"، والغزالي في كتابه: "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل".

وهو منهج يعبر عن سمو فكري، وقدرة علمية، وسماحة خُلقية، تَمَيَّزَ بها علماءُ الإسلام والمهتدون إليه، إذ إن أحدهم يضع إلزامًا على نفسه ألا يورد على أهل الكتاب حُجَّةً إلا من خلال كتبهم المسلمة عندهم، مع أن أهل الإسلام يعتقدون أنها محرفة ولا حجة فيها يقينا، ولكنها مجاراة الخصم الضعيف، والأخذ بيده إلى الحق من الطريق القريب.

ورائد الإلزام في العصر الحديث من علمائنا في مقارنة الأديان هو الشيخ رحمت الله الهندي في كتابه المشهور: "إظهار الحق". وهو يقول في مقدمة كتابه هذا عن منهجه:

"إني إذا أطلقت الكلام في هذا الكتاب في موضع من المواضع، فهو منقول عن كتب علماء البروتستانت بطريق الإلزام والجدل، فإن رآه الناظر مخالفا لمذهب أهل الإسلام فلا يقع في الشك"[1].

ويبين أبو عَبيدة الخزرجي منهجه الإلزامي، والسبب الذي دعاه إلى سلوكه. وهو لا يختلف عما هو موجود في عصرنا الحاضر، فيقول:

"وقد قدمت في صدر هذه الرسالة دلائل من كتبهم على أنه (أي المسيح) ما

---

[1] مقدمة كتاب إظهار الحق، للشيخ رحمة الله الهندي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ

ادعى الألوهية، وإنما نقلتُ من أناجيلهم حرفًا حرفًا -على ما فيها من إضافة الفضل والقوة والحول إلى غير الله تعالى؛ لأن من شأنهم وشأن اليهود إذا فيدوا بشيء، ليس مكتوبًا عندهم أنكروه. فلم أورد من ذلك إلا ما قرأته في كتبهم العبرانية، ووقفت عليها بنفسي، وطالعتُ فيها بعض تفاسيرهم وشافهتهم بها"[1].

ومثل ذلك كان منهج الغزالي، إذ يلزم الخصم بما ألزم به نفسه، فعمد إلى التحليل الداخلي لمادة الإنجيل من خلال عنوان كتابه الواضح: "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل". وفي مقدمته يقول:

"هأنذا أذكر نصًا نصًا، مبينًا فصولها المسطرة فيها؛ حذرًا من المناكرة؛ لأن كتبهم غير محفوظة في صدورهم"[2].

ومنهج السموأل في "إفحام اليهود" بلا شك هو الإلزام، إذ هو بارع في معرفة نصوص اليهود، وقد كان منهم؛ فلذلك عمد إلى الاحتجاج عليهم بما عندهم من نصوص، وهو يوضح هذا بقوله:

"على أن الأئمة (المسلمين)- ضُوعفَ ثوابهم- قد انتدبوا قبلي لذلك، وسلكوا في مناظرة اليهود أنواع المسالك، إلا أن أكثر ما نُوظروا به يكادون لا يفهمونه، أو لا يلتزمونه. وقد جُعلَ إلى إفحامهم طريقٌ مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم، وأعماهم الله عنه عند تبديلهم، ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم"[3].

---

[1] مقامع هامات الصلبان: أبو عبيدة الخزرجي، حققه ونشره د.محمد شامة- بعنوان: بين الإسلام والمسيحية، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

[2] الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل: أبو حامد الغزالي ط٢، تحقيق: د.محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، القاهرة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

[3] إفحام اليهود، ص٨٦

ولا يعنى وجود هذه المناهج في جهود علمائنا في حقل مقارنة الأديان أنها متمايزة منفصلة تمامًا، بل إننا نراها في كتبهم متواصلة مؤتلفة، فأصحاب المنهج العقلي يستخدمون أحيانًا النصوص، سواء الإسلامية أو اليهودية أوالنصرانية، وأصحاب منهج الإلزام يستخدمون أحيانا كثيرة البراهين العقلية والنصوص الإسلامية، وكذلك أصحاب المنهج السلفي يستخدمون أقيسة عقلية ونصوصًا من الكتب المقدسة يلزمون بها الخصوم، إلى جانب النصوص الإسلامية، فجميع هذه المناهج مفتوحة على بعضها، وإنما يميز بعضها عن بعض، المنطلق الذي ينطلق منه الكاتب، والرؤية التي تحكم فكره، والصفة الغالبة على بحثه، والأهداف والنتائج الخاصة بعمله.

ولا شك أن الحسن بن أيوب هو أيضًا على منهج الإلزام، وهو نفسه وضّح ذلك بعبارات جلية قال:

"وهذه الأسباب التي ذكرناها كلها، هي الأسباب التي تتعلقون بها في نحلتكم المسيح الربوبية، وإضافتكم إليه الإلهية. وقد وصفناها على حقائقها عندكم، وقبلنا فيها قولكم. وإن كنا لا نشك في أن أهل الكتاب قد حرّفوا بعض ما فيها من الكلام عن مواضعه. وأوجدناكم بطول ما تنتحلونه، وفساد ما تتأولونه من الكتب التي في أيديكم: التوراة، والزبور، والأنبياء، والإنجيل. فما الذي يثبت الحجة بعد ذلك لكم؟!".

"فهذا ما حضرنا من الآيات في تصحيح خلق المسيح وعبوديته، وبطلان ما يدعونه من ربوبيته".

"وإنما اقتصرنا على الاحتجاج عليكم من كتبكم"[1].

وأما سمات منهج الحسن- غير التزامه الاستدلال على النصارى من كتبهم،

---

[1] رسالة الحسن بن أيوب.

فهي:

١. أنه يستدل استدلالات عقلية، تبين عن صفاء ذهن، وقدرة فائقة على الجدال والبحث والمناظرة.

٢. العدل في الحجاج مع الخصوم، وعدم اعتساف الدليل، وقوة الحجة، وسلامة البرهان.

٣. سلامة اللغة، ورصانة العبارة، ونصاعة البيان، وقوة السبك، ووضوح الفكرة.

٤. كثرة الجمل الاعتراضية، بسبب الميل إلى الاستطراد، رغبة في استقصاء الفكرة.

لماذا كتب الحسن بن أيوب رسالته؟

قال ابن تيمية:

"الحسن بن أيوب، الذي كتبَ رسالة إلى أخيه علي بن أيوب، يذكر فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى، وصحة دين الإسلام، قال في رسالته إلى أخيه- لمَّا كتب إليه يسأله عن سبب إسلامه- بعد أن ذكر خطبته:... "[1].

وقال ابن تيمية أيضا عن الحسن بن أيوب:

"وقد ذكر في كتابه من الرد على ما يحتجون به من الحجج العقلية والسمعية، وما يبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية ما يبين ذلك"[2].

[1] الجواب الصحيح ٨٨/٤.

[2] الجواب الصحيح ١٨٢/٤.

ورأينا ابن النديم في "الفهرست" يذكر أيضًا أن الحسن بن أيوب كتب رسالته إلى أخيه علي بن أيوب في الرد على مقالات النصارى، وتبيين فسادها، وتثبيت نبوة محمد ﷺ.

عملي في هذا الكتاب

(١) تقسيم الرسالة إلى فصول، ووضع عناوين لها. وهذا ينطبق على جميع العناوين الرئيسية والفرعية، حيث إن الحسن لم يضع عناوين قط.

(٢) تقسيم الرسالة إلى فقرات، ووضع علامات الترقيم، وفهرسة الموضوعات.

(٣) تخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ونصوص التوراة والإنجيل.

(٤) تدقيق النص، وإصلاحه، وإزالة ما به من أخطاء، وعيوب.

(٥) التعريف بالأعلام، والأماكن.

(٦) إزالة الإبهام، والتعريف بالغريب، وشكل المشكل.

(٧) توثيق أقوال فرق النصارى من كتبهم.

(٨) التعليق بما يلزم.

[مقدمة الحسن بن أيوب][1]

أُعلمك- أرشدك الله- أنَّ ابتداء أمري، في الشك الذي دخلني، فيما كنت عليه، والاستبشاع بالقول به، من أكثر من عشرين سنة؛ لِمَا كنتُ أقفُ عليه في المقالة، من فساد التوحيد لله ﷻ؛ بما أُدخل فيه من القول بالثلاثة الأقانيم[2]، وغيرها مما تضمنته شريعة النصارى، ووضْعِ الاحتجاجات التي لا تزكو، ولا تثبت في تقرير ذلك.

وكنت إذا تَبَحَّرْتُهُ[3]، وأجلْتُ الفكرَ فيه، بانَ لي عَوارُهُ[4]، ونَفَّرَتْ نفسي من

---

[1] قال ابن تيمية هنا: "قلت: ومِنْ أخبر الناس بمقالاتهم، مَنْ كان من علمائهم، وأسلمَ على بصيرة، بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم، كالحسن بن أيوب، الذي كتبَ رسالة إلى أخيه علي بن أيوب، يذكر فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى، وصحة دين الإسلام، قال في رسالته إلى أخيه- لَمَّا كتب إليه يسأله عن سبب إسلامه- بعد أن ذكر خطبته:...".

[2] عقيدة الأقانيم الثلاثة: يؤمن النصارى بأن ذات الله ثلاثة أقانيم: أقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس. وهذه الثلاثة عندهم واحد. وهذا ما دفعه الله سبحانه بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(المائدة:٧٣).

[3] تَبَحَّرْتُهُ: البَحْرُ ضد البر، قيل: سُمّي به لعمقه واتساعه. والجمع أبْحُرٌ، و بِحَارٌ، و بُحُورٌ. و تَبَحَّرَ في العلم وغيره: تعمق فيه وتوسع. وهو المعنى المراد هنا (مختار الصحاح، ص٧٣).

قبوله. وإذا فكرتُ في دين الإسلام- الذي مَنَّ الله عليَّ به- وجدتُ أصولَه ثابتة، وفروعه مستقيمة، وشرائعه جميلة.

وأصل ذلك، ما لا يختلف فيه أحد، ممن عرف الله ﷻ منكم ومن غيركم. وهو الإيمان بالله الحي، القيوم، السميع، البصير، الواحد، الفرد، الملك، القدوس، الجوَّاد، العدل. إله إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وإله موسى، وعيسى، وسائر النبيين والخلق أجمعين.

الذي لا ابتداء له، ولا انتهاء، ولا ضد، ولا نِدَّ، ولم يتخذ صاحبة، ولا ولدًا.

الذي خلق الأشياء كلها، لا من شيء، ولا على مثال. بل كيف شاء، وبأنْ قال لها: كوني! فكانت على ما قدَّر وأراد.

وهو العليم القدير، الرءوف الرحيم، الذي لا يشبهه شيء.

وهو الغالب، فلا يُغْلب، والجواد فلا يَبخل. لا يفوته مطلوب، ولا تخفى عليه خافية. يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، وما يَلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يعرج فيها.

وكلُ مذكور أو موهوم، هو منه. وكلُ ذلك به. وكلٌ له قانتون.

ثم نؤمن بأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

ونؤمن بموسى، وعيسى، وسائر الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام. لا نُفرِّق بين أحد منهم.

ونؤمن بالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وسائر الكتب التي أنزلها الله

---

[1] عَوارة: العَوْرَةُ سوءة الإنسان، وكل ما يُستحيا منه. والجمع: عَوْرات. والعَوْراء بوزن العرجاء الكلمة القبيحة. وهي السقطة. والعَوارُ: العيب. يُقال: سلعة ذات عَوار. وقد يُضم أوله (مختار الصحاح، ص٤٦٧).

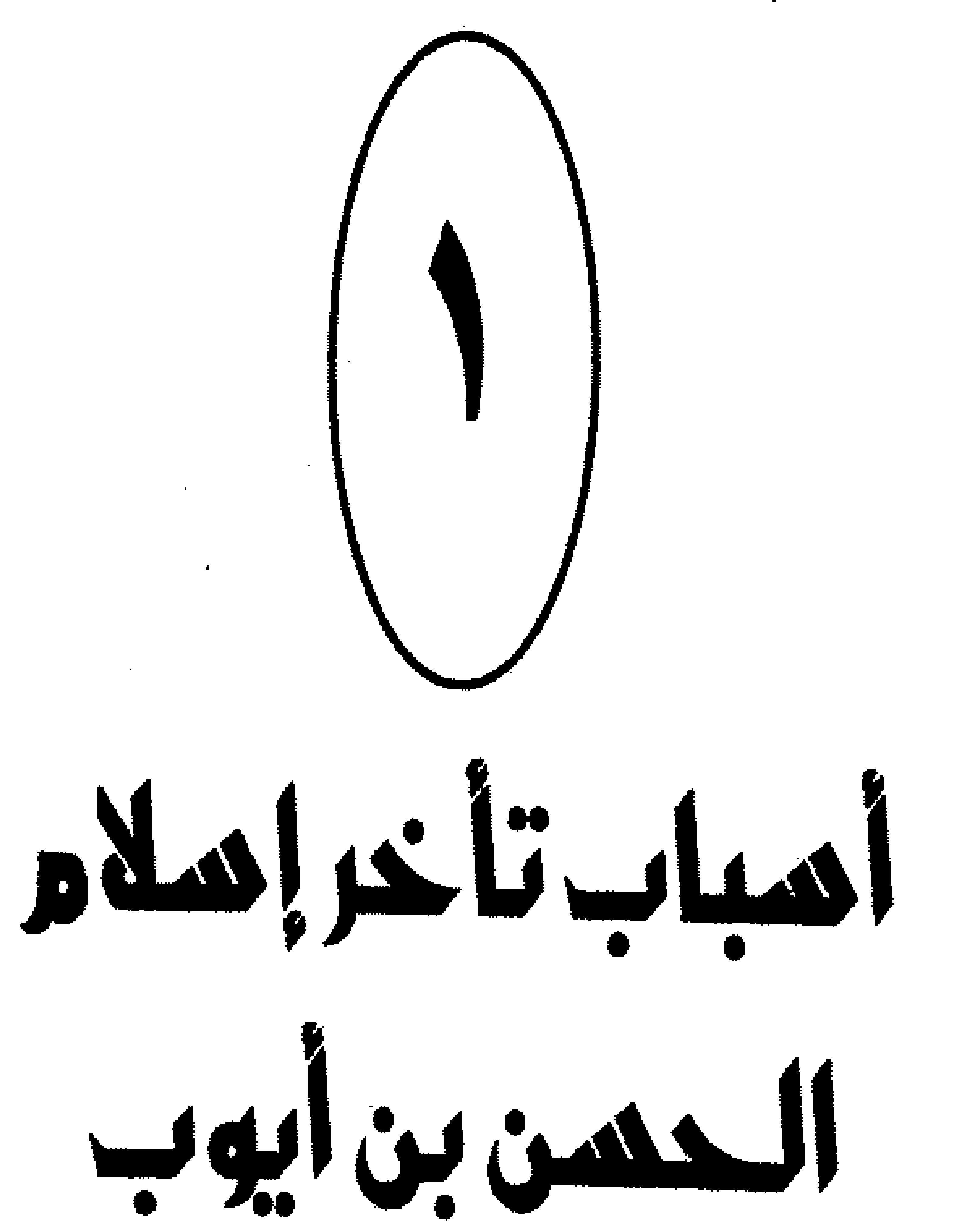
تعالى على أنبيائه، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور[1]. وإن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم، يَصْلونها يومَ الدين[2]، ذلك بما كسبت أيديهم، وأن الله ليس بظلام للعبيد[3].

---

[1] يتأول الحسن بن أيوب قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾(الحج:٧).

[2] يتأول الحسن بن أيوب قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ {١٣} وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ {١٤} يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ {١٥}﴾(الانفطار).

[3] يتأول الحسن بن أيوب قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(آل عمران:١٨٢).



١

أسباب تأخر إسلام الحسن بن أيوب

وكان يحملني إلفُ ديني، وطولُ المدة والعهد عليه، والاجتماعُ مع الآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأقارب والإخوان والجيران وأهل المودات- على التسويف بالعزم، والتلبث[1] على إبرام الأمر[2].

ويعرض مع ذلك الفكر في إمعان النظر، والازدياد في البصيرة. فلم أدعْ كتابًا من كتب أنبياء التوراة والإنجيل والزبور، وكتب الأنبياء والقرآن، إلا نظرتُ فيه

[1] التلبث: البطء يقال: لَبِثَ لُبْثاً ولَبْثاً ولُبَاثةً كل ذلك جائز. وتَلَبَّثَ تَلَبُّثاً فهو مُتَلَبِّثٌ. وفي الحديث: "فاستلبثَ الوحْيُ". وهو استفعل، من اللبث: الإبطاءِ والتأخرِ (لسان العرب ١٨٧/٢).

[2] يبين الإمام ابن القيم أن جمهور اليهود والنصارى- آمن بمحمد ﷺ وصدقه. وقد كانوا ملء الأرض في الشام، ومصر، وما جاورهما واتصل بهما، والجزيرة والموصل وأعمالهما، وأكثر بلاد المغرب، وكثير من بلاد المشرق- كانوا كلهم نصارى، فأصبحت هذه البلاد كلها مسلمين فالمتخلف من هاتين الأمتين عن الإيمان به، أقل القليل بالإضافة إلى من آمن به وصدقه. والغرض الحامل لهم على الكفر ليس هو مجرد المأكلة ولا رياسة فقط. وان كان من جملة الأغراض، بل منهم من حمله ذلك ومنهم من حمله الحسد ومنهم من حمله الكبر، ومنهم من حمله الهوى، ومنهم من حمله محبة الآباء والأسلاف وحسن الظن بهم، ومنهم من حمله إلفه للدين الذي نشأ عليه وجبل بطبعه، فصار انتقاله عنه كمفارقة الإنسان ما طبع عليه وأنت ترى هذا السبب كيف هو الغالب المستولى على أكثر بني آدم في إيثارهم ما اعتادوه من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والديانات على ما هو خير منه وأوفق بكثير. ومنهم من حمله التقليد والجهل، وهم الأتباع الذين ليس لهم علم. ومنهم من حمله الخوف من فوات محبوب أو حصول مرهوب (هداية الحيارى، ص١١٨).

وتصفحته، ولا شيئا من مقالات النصرانية إلا تأملته.

[هجرة الحسن إلى الله تعالى وإظهار إسلامه]

فلمَّا لم أجد للحق مدفعًا، ولا للشك فيه موضعًا، ولا للأناة والتلبث وجهًا، خرجتُ مهاجرًا إلى الله ﷻ بنفسي، هاربًا بديني عن نعمة، وأهل مستقر، ومحل عِزٍّ، ومُتصرَّف في عمل[1].

فأظهرتُ ما أظهرتُهُ عن نية صحيحة، وسريرة صادقة، ويقين ثابت.

فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. لقد جاءت رسل ربنا بالحق[2].

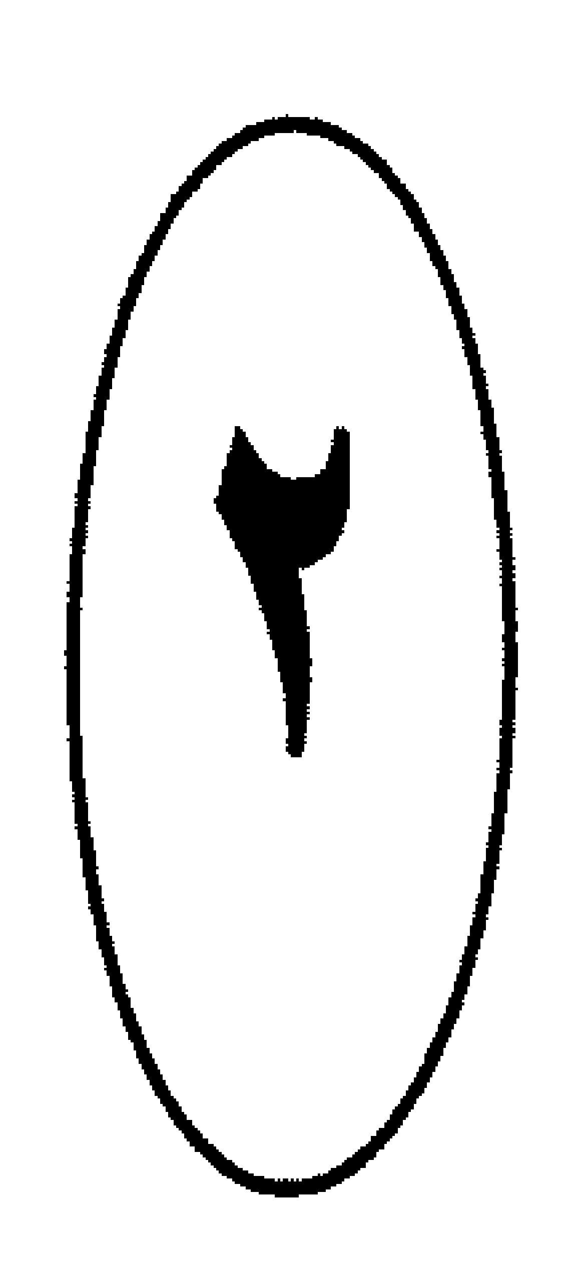
وإياه تعالى نسأل: أن لا يُزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يَهب لنا منه رحمة، إنه هو الوهاب[3].

---

[1] يؤكد الحسن بن أيوب بذلك أنه لم يدخل في الإسلام رغبة في دنيا يصيبها، من مال، أو متاع، أو منصب. وإنما كانت هجرته إلى الله ورسوله. وهذه الهجرة لا تنقطع إلى يوم القيامة، كما بين النبي ﷺ قال: "الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه" {صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية الحسنة(٥٤)}.

[2] يتأول الحسن بن أيوب قول الله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (الأعراف:٤٣).

[3] يتأول الحسن بن أيوب قول الله تعالى: {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} (آل عمران:٨).



مقارنة مقالات النصارى في المسيح

مقالة الأريوسية[1]:

ولمَّا نظرتُ في مقالات النصارى، وجدتُ صنفاً منهم يُعرفون بالأريوسية، يُجَرِّدون توحيد الله، ويعترفون بعبودية المسيح ﷺ، ولا يقولون فيه شيئاً مما يقوله النصارى، من ربوبية، ولا بنوة خاصة، ولا غيرهما.

وهم متمسكون بإنجيل المسيح، مُقِرُّون بما جاء به تلاميذه والحاملون عنه. فكانت هذه الطبقة قريبة من الحق، مخالفة لبعضه في جحود نبوة محمد، ودفع ما جاء به من الكتاب والسنة.

مقالة اليعقوبية[2]:

---

[1] أصحاب أريوس، كان قسيسا بالإسكندرية. ومن قوله التوحيد المجرد، وأن القديم هو الله، وأن عيسى- عليه السلام- عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى، التي بها خلق السموات والأرض، وكان في زمن قسطنطين الأول (الملل والنحل: الشهرستاني ٢٢٧/١. الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ٤٧/١).

[2] اليعقوبية: هم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة، اتحاد بلا اختلاط، ولا امتزاج، ولا استحالة. ونسبة ذلك المذهب إلى يعقوب البرادعي؛ لأنه من أنشط الدعاة إليه، لا لأنه مبتدعه ومنشئه، فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا، فإن أول من أعلنه بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي. ويرفض الأرثوذكس المصريون إطلاق "يعاقبة" عليهم، ويعدونه خطأ، ويعده الشيخ أبو زهرة خلطا كبيرا، وغلطا يدل على الجهل؛ لأن مذهب القبط كان موجودا

ثم وجدتُ منهم صنفًا، يُعرفون باليعقوبية، يقولون: إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين. إحداهما طبيعة الناسوت، والأخرى طبيعة اللاهوت. وأن هاتين الطبيعتين تركبتا، كما تركبت النفس مع البدن، فصارتا إنسانًا واحدًا، وجوهرًا واحدًا، وشخصًا واحدًا.

وأن هذه الطبيعة الواحدة، والشخص الواحد هو المسيح. وهو إله كله، وإنسان كله. وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين.

وقالوا: إن مريم وَلَدَتِ الله- تعالى الله عما يقولون، وإن الله مات، وتألَّمَ، وصُلِب متجسدًا، ودُفِن، وقام من بين الأموات، وصعد إلى السماء.

فجاءوا من القول بما لو عُرِضَ على السماء لانفطرت، أو على الأرض لانشقتْ، أو على الجبال لانهدت[1].

فلم يكن لمحاجة هؤلاء وجه؛ إذ كان كفرهم- بما صرَّحوا به- أوضح من أن يقع فيه الشك. وكان غيرهم من النصارى كالملكانية، والنسطورية، يشهدون بذلك عليهم.

قبل يعقوب البرادعي (انظر تاريخ الأمة القبطية ٢/٩٣-٩٤. ومحاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، ص١٢٩، ١٤٦).

وفي دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي (٦١٩/٧): أن إطلاق لفظ اليعاقبة على القبط خطأ محض، فهم ليسوا يعاقبة، ولا من اليعاقبة؛ لأن اليعاقبة هم جماعة السريان، سكان ما بين النهرين، الذين حافظوا على تعاليم الآباء الأولين.

[1] يقول الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا {٨٨} لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا {٨٩} تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا {٩٠}﴾(مريم).

مقالة الملكانية[1]:

ثم نظرتُ في قول الملكانية. وهم الروم، وهم أكثر النصارى، فوجدتهم قالوا: إن الابن الأزلي، الذي هو الله الكلمة، تَجَسَّدَ من مريم تجسُّدًا كاملا، كسائر أجساد الناس، ورُكب في ذلك الجسد نفسًا كاملة بالعقل والمعرفة والعلم، كسائر أنفس الناس.

وأنه صار إنسانا بالنفس والجسد، اللذين هما من جوهر الناس، وإلهًا بجوهر اللاهوت، كمثل أبيه لم يزل.

وهو إنسان بجوهر الناسوت، مثل: إبراهيم، وداود[2].

وثبتَ له جوهر اللاهوت، كما لم يزل يصح له جوهر الناسوت، الذي لبسه من مريم.

وهو شخص واحد، لم يزد عدده، وطبيعتان. ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته مشيئة، مثل الآب والروح، وله بناسوته مشيئة، مثل مشيئة إبراهيم وداود.

وقالوا: إن مريم ولدت إلهًا، وإن المسيح- وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت- مات.

---

[1] الملكانية: يعتقدون أن عيسى- عليه السلام- إله تام كله وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته. ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم. ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة. ويقولون بأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وإن مريم ولدت الإله والإنسان، وأنهما معًا شيء واحد ابن الله (اعتقادات المسلمين والمشركين: الفخر الرازي، ص٨٤. الفصل في الملل ٤٨/١. الملل والنحل ٢٢١/١).

[2] في هذا الموضع: "وهو شخص، واحد لم يزد عدده".وأرى أنها زائدة في موضعها من انتقال النظر؛ لأنها ستأتي بعد قليل.

وقالوا: إن الله لم يمت، والذي ولدتْ مريم قد مات بجوهر ناسوته. فهو إله تام بجوهر لاهوته، وإنسان تام بجوهر ناسوته. وله مشيئة اللاهوت، ومشيئة الناسوت. وهو شخص واحد، لا نقول شخصان؛ لئلا يلزمنا القول بأربعة أقانيم.

نقد مقالتي اليعقوبية والملكانية

فهؤلاء أتوا من ذلك بمثل ما أتت به اليعقوبية في ولادة مريم الله. تعالى الله عما يقول الظالمون[1].

وقالوا: إن المسيح- وهو اسم لا تشك جماعة النصارى أنه واقع على اللاهوت والناسوت- مات، وإنَّ الله لم يمتْ.

فكيف يكون ميتا لم يمتْ؟! وقائمًا قاعدًا في حال واحدة؟!

وهل بين المقالتين فرْق، إلا ما اختلفوا فيه من الطبائع؟

مقالة النسطورية[2]:

ثم نظرت في قول النسطورية، فوجدتهم قالوا: إن المسيح شخصان وطبيعتان،

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة:٧٢).

[2] النسطورية: نسبة إلى نسطور الراهب، وهو أسقف القسطنطينية؛ كان يرى أن المسيح يقال له: إله، وابن الإله، ليس على الحقيقة، ولكن موهبة، واتفاق الاسمين على سبيل الكرامة؛ وأن مريم ليست بوالدة الإله على الحقيقة، وأن اللاهوت لم يُولد ولم يُصلب، ولم يقم مع الناسوت. ومعنى هذا أن نسطور لم يكن يعتقد بألوهية المسيح. وقد انحرف النسطوريون عن مبادئ نسطور- كما يقرر الشيخ محمد أبو زهرة- فاعتقدوا امتزاج الألوهية والإنسية في المسيح (هداية الحيارى: ابن القيم، ص٢٥٦ وما بعدها؛ يا أهل الكتاب تعالوا: د؛ رءوف شلبي، ص٢٢٤. محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، ص١٤٤-١٤٥).

لهما مشيئة واحدة. وأن طبيعة اللاهوت التي للمسيح، غير طبيعة ناسوته.

وأن طبيعة اللاهوت لمَّا توحدتْ بالناسوت بوصفها[1] الكلمة التي (تجسدت)[2]، صارت الطبيعتان بجهة واحدة، وإرادة واحدة.

واللاهوت لا يقبل زيادة، ولا نقصان، ولا يمتزج بشيء. والناسوت يقبل الزيادة، والنقصان. فكان المسيح بتلك إلهًا، وإنسانًا.

فهو إله بجوهر اللاهوت، الذي لا يزيد، ولا ينقص. وهو إنسان بجوهر الناسوت القابل للزيادة، والنقصان.

وقالوا: إن مريم ولدت المسيح بناسوته، وإن اللاهوت لم يفارقه قط، منذ توحدتْ بناسوته.

مقارنة بين أقوال فرق النصارى في المسيح

فوجدنا اليعقوبية قد صرَّحوا بأن مريم ولدت الله. تعالى (الله)[3] عما يصفه المبطلون، ويقوله العادلون[4].

---

[1] في هذا الموضع كلمة: "بشخصها". ولم أفهم معناها. فاستبدلت بها كلمة "بوصفها"، ليستقيم المعنى.

[2] هذه الكلمة ساقطة من الأصل.

[3] أضفت لفظ الجلالة لمزيد البيان.

[4] العادلون: العدل هو التسوية، والمراد به هنا: الذين يسوون بين الله سبحانه، وآلهتهم الباطلة، فهي تسوية باطلة؛ لأنها ليست بين متناظرين، كما بين قول الله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾(الانعام:١). وقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾(النمل:٦٠).

وأنّه تألمَ، وصُلِبَ، وماتَ، وقام بعد ثلاثة أيام من بين الموتى.

وهذا الكفر الذي تشهد به عليهم سائر ملل النصارى، وغيرهم[1].

ووجدنا الملكانية قد حادوا عن هذا التصريح، إلى ما هو دونه في الظاهر. فقالوا: إن المسيح شخص واحد وطبيعتان، فلكل واحدة من الطبيعتين مشيئة. فله بلاهوته مشيئة، مثل: الأب، والروح. وله بناسوته مشيئة، كمشيئة إبراهيم، وداود. وأوهموا الواقف على قولهم: أنهم بما اخترعوه من هذا الاختيار، قد فرّقوا بين اللاهوت والناسوت. ثم عادوا إلى قول اليعقوبية فقالوا: إن مريم ولدت إلهًا، وإن المسيح- وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت عند جماعتهم، لا يشكون في ذلك- مات بالجسد. وأن الله لم يمت. والذي قد ولدته مريم، قد مات بجوهر ناسوته.

فكيف يكون ميتًا لم يمت؟!

وهل بين المقالتين- إلا ما اختلفوا فيه من الطبائع- فرق؟!

وإذا كانوا قد اعترفوا بأن مريم ولدت الله، وأن الذي ولدته مريم- وهو المسيح- الاسم الجامع للجوهرين- للاهوت والناسوت- قد مات، فهل وقعت الولادة، والموت، وسائر الأفعال التي تحكي النصارى أنها فُعلت بالمسيح إلا عليهما؟!

فكيف يصح لذي عقل عبادة مولود من امرأة بشرية، قد مات، ونالته العلل والآفات[2]؟!

---

[1] يكفر فرق النصارى بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا.

[2] قال ابن تيمية هنا معلقًا: "قلت: ومما يوضح تناقضهم، أنهم يقولون: إن المسيح- وهو اللاهوت والناسوت- شخص واحد، وأقنوم واحد مع قولهم: إنهما جوهران بطبيعتين ومشيئتين، فيثبتون للجوهرين أقنومًا واحدًا. ويقولون: هو شخص واحد، ثم يقولون: إن رب العالمين إله

مقالة النصطورية تعود إلى اليعقوبية والملكانية

ثم وجدنا النصارى المعروفين بالنسطورية، قد خالفوا اليعقوبية والملكانية في قولهم بشخصين لهما مشيئة واحدة، وأن الطبيعتين اتحدتا فصارتا بجهة واحدة. ثم عادوا إلى شبيه قولهم في أن مريم ولدت المسيح.

فإذا كانت ولدت المسيح، فقد لزمهم ووجب عليه الإقرار بأنها ولدت هذا اللاهوت والناسوت المتحدين. وقد رجع المعنى إلى قول اليعقوبية، إلا أنهم اختاروا لذلك ألفاظًا زوّقوها، وقدروا بها التمويه على السامع.

ولم يُصرِّحوا بالقول كتصريح اليعقوبية؛ لأنَّ المتحد بالشيء، هو الممازج له، والمجتمع معه حتى صار- مازجُه وهو- شيئا واحدًا.

ثم أكدوا القول بإقرارهم: أن الناسوت منذ اتحد باللاهوت، لم يفارقه.

فما لم يفارق الشيء: هل هو إلا يجري مجراه في سائر متفرقاته، من ضُر ونفع، وخير وشر، وحاجة وغنى؟!

وأما قولهم: إن مريم ولدت المسيح بناسوته، فهذه أغلوطة؛ وإلا فكيف يولد ولد متحد بشيء آخر، مجامع له دون ذلك الشيء؟! وكيف يكون ذلك، وهم

واحد وأقنوم واحد وجوهر واحد وهو ثلاثة أقانيم فيثبتون للجوهر الواحد ثلاثة أقانيم وللجوهرين المتحدين أقنومًا واحدًا، مع أن مشيئة الأقانيم الثلاثة عندهم واحدة والناسوت واللاهوت يثبتون لهما مشيئتين وطبيعتين ومع هذا هما عندهم شخص واحد أقنوم واحد وهذا يقتضي غاية التناقض، سواء فسروا الأقنوم بالصفة أو الشخص، أو الذات مع الصفة أو أي شيء قالوه.

وهو يبين أن الذين تكلموا بهذا الكلام ما تصوروا ما قالوه بل كانوا ضُلّلا جُهّلا. بخلاف ما يقوله الأنبياء فإنه حق. فلهذا لا يوجد عن المسيح، ولا غيره من الأنبياء ما يوافق قولهم في التثليث، والأقانيم، والاتحاد ونحو ذلك مما ابتدعوه بغير سمع وعقل. بل ألقوا أقوالا مخالفة للشرع والعقل".

يقولون: إنه لم يفارقه قط؟! وهل يصح هذا عند أهل النظر؟!

أوَليْس الحُكْم عند كل ناظر، ومن كل ذي عقل، يوجب أن تكون الولادة واقعة على اللاهوت والناسوت معًا، بمعنى الاتحاد، وبمعنى الاسم الجامع للاهوت والناسوت، وهو المسيح. وكذلك الحمل بهما جميعًا، وأن يكون البطن قد حواهما؟!

اجتماع النصارى على الباطل والمحال

فإن لجُّوا في الباطل، ودافعوا عن قبيح هذه المقالة، ومالوا إلى تحسينها بالتمويهات المُشَكِّكَة لمن قصُرت معرفته، فنحن نُقيم عليهم شاهدًا من أنفسهم، لا يمكنهم دفعه. وذلك أن شريعة إيمانهم[1]، التي ألَّفَها لهم رؤساؤهم من البطاركة، والمطارنة، والأساقفة، والأحبار في دينهم، وذوي العلم منهم بحضرة الملك، عند اجتماعهم من آفاق الأرض بمدينة قسطنطينية، وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر رجلًا[2]، يصفون أنهم نطقوا بها بروح القدس. وهي التي لم تختلف جماعتهم- عند اختلافهم في المقالات- فيها. ولا يَتِمُّ لهم قربان إلا بها، على هذا النسق الذي نبينه:

"نؤمن بالله الأب. مالك كل شيء. صانع ما يُرى، وما لا يُرى. وبالرب

---

[1] شريعة إيمانهم: المقصود بها قانون الإيمان النيقي.

[2] المجمع المسكوني الأول في نيقية سنة (٣٢٥م). فهو أهم المجامع المسيحية، وبه ابتدأت سُنَّة المجامع المسكونية، وفيه وضعت العقائد الأساسية للمسيحية، وجزء من قانون الإيمان، ودار فيه الصراع بين مذهب التوحيد، ويمثله "أريوس" وأتباعه، ومذهب تأليه المسيح، ويمثله بترك الإسكندرية "إثناسيوس"، ومن شايعه. وفي هذا المجمع الأول: قيل بألوهية المسيح. وفي المجمع المسكوني الثاني (مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م): قيل بألوهية الروح القدس، وصيغت نظرية الثالوث الأقدس (د.عبد الرءوف شلبي: يا أهل الكتاب تعالوا، ص٢٢٩ وما بعدها).

الواحد، يسوع المسيح، ابن الله الواحد. بكر الخلائق كلها، وليس بمصنوع. إله حق، من إله حق، من جوهر أبيه. الذي بيده أُتقنتْ العوالم، وخُلق كلُّ شيء. الذي من أجلنا- معشر البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً، وحُبل به، ووُلِدَ من مريم البتول، وتألَّم، وصُلِبَ أيام فيطوس بن بيلاطوس، ودُفن، وقام في اليوم الثالث، كما هو مكتوب. وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء. ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه[1]. وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا. وبجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية. وبقيامة أبداننا. وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين".

فهذه الشريعة يجتمع على الإيمان بها، وبذل المهج فيها، وإخراج الأنفس دونها- جماهيرهم من: الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية. وقد اعترفوا فيها جميعًا بأن الربَّ المسيحَّ- الذي هذه صفته، على ما اقتصصناه منها- الإلـهُ الحقُّ، من الإله الحق، نَزَلَ من السماء، وتجسَّدَ من روح القدس، وصار إنسانا، وحُبل به، ووُلد من مريم البتول، وتألم، وصلب.

فهل في هذا الإقرار شبهة أو علقة، يتعلق بها العَنِتُ المدافع عن الحجة؟!

فتدبروا هذا القول يا معشر النصارى، فإنه لا يمكن أحد منكم أن يخرج عنه، ولا أن يدفع ما صرَّح به؛ فإنكم إن قلتم: إن المقتول المصلوب هو الله، فمريم- على قولكم- ولدت الله، سبحانه وتعالى عما يقولون.

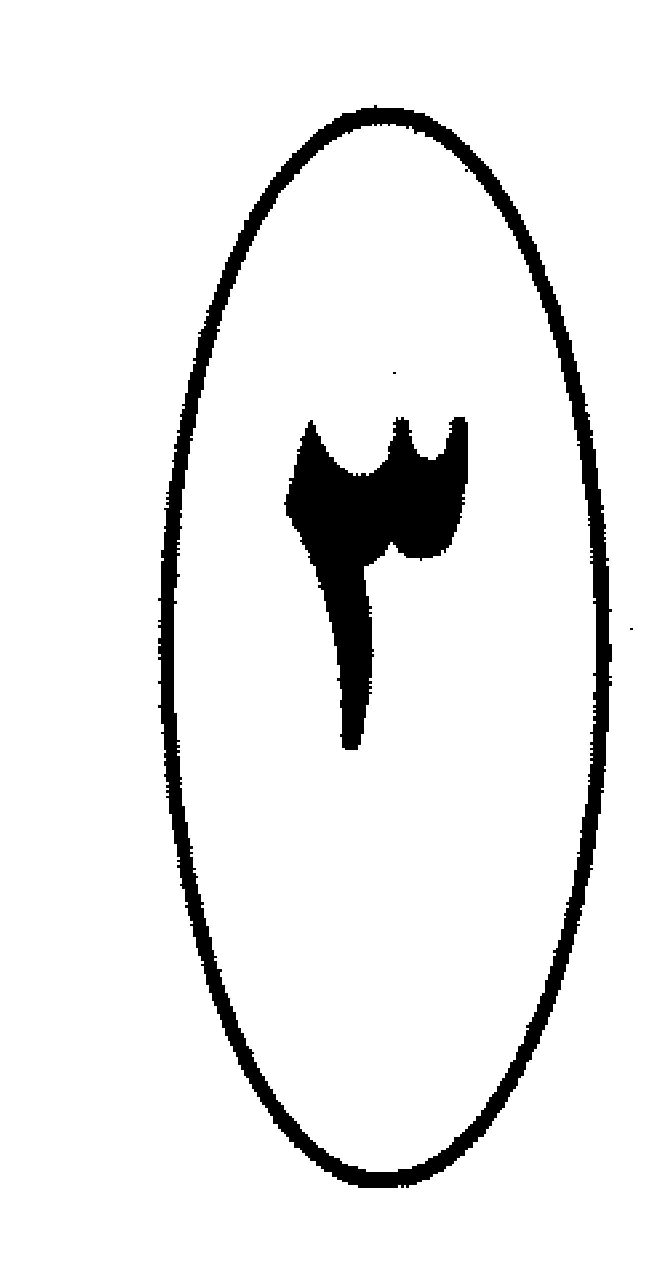
وإن قلتم: إنه إنسان، فمريم ولدت إنسانًا.

وفي ذلك أجمع بطلان شريعة إيمانكم.

فاختاروا أيَّ القولين شئتم، فإن فيه نقضَ الدين!

---

[1] في هذا الموضع: " روح وحياته". وأراها زائدة من خطأ النسخ.



نقد قانون الإيمان النيقي

وقد يجب على ذوي العقول: أن تزجرهم عقولهم عن عبادة إله ولدته مريم؛ وهي امرأة آدمية، ثم مكث على الأرض ثلاثين سنة، تجري عليه أحكام الآدميين، من غذاء، وتربية، وصحة وسقم، وخوف وأمن، وتعلم وتعليم!

لا يتهيّأ لكم أن تدّعوا: أنه كان منه في تلك المدة من أسباب اللاهوتية شيء، ولا له من أحوال الآدميين كلها- من: حاجاتهم، وضروراتهم، وهمومهم، ومحنهم، وتصرفاتهم- مَخْرَج.

ثم أحدث بعد هذه المدة الطويلة ما أحدثه من إظهار أمر الله تعالى والنبوات، والآيات الباهرة المعجزة بقوة الله تعالى. وقد كان من غيره من الأنبياء مثلها، وما هو أعلى منها. فكانت مدته في ذلك أقل من ثلاث سنين.

ثم انقضى أمره بما يصفون أنه انقضى به، وينسبونه إليه من: حبس[1]، وضرب[2]، وقذف[3]، وصلب[4]، وقتل[5].

---

[1] لوقا ٢٣:٢٥ "فأطلق لهم الذي طرح في السجن لأجل فتنة وقتل الذي طلبوه وأسلم يسوع لمشيئتهم".

[2] متى ٢٦:٥٥ "في تلك الساعة قال يسوع للجموع: كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني كل يوم كنت أجلس معكم أعلّم في الهيكل ولم تمسكوني".

[3] متى ٢٧:٢٩ "وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه. وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين: السلام يا ملك اليهود".

[4] متى ٢٧:٤٢ "خلّص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلّصها.إن كان هو ملك إسرائيل، فلينزل الآن عن الصليب، فنؤمن به".

[5] فيلبي ٢:٨ "وإذ وجد في الهيئة كانسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب".

فهل تقبل العقول ما يقولون: من أن إلهًا نال عباده منه، مثل ما تذكرون أنه نِيْل منه؟!

فإن تأولتم: أن ذلك حَلَّ بالجسم. وليس بالقياس يُحتمل ذلك؛ لما شرحناه من معنى اتحاد اللاهوت به! أفليس قد وقع بجسم، توحدت اللاهوتية به؟! وحلَّت الروح فيه؟! وقد أنجبه الله- على ما تزعمون وتصفون- لخلاص الخلق، وفوض إليه القضاء بين العباد في اليوم الذي يجتمع فيه الأولون والآخرون للحساب!

وقد وجدناكم تؤثرون أخبارًا في قوم عرضوا التوابيت فيها، شهداء لكم بأن الأيدي التي بُسطت إليها جفت!

أو هل نال أحدًا- من الجزع والهلع[1] والغم والقلق[2] والتضرع إلى الله في إزالة ما حلَّ به- مثل ما يُحكى في الإنجيل: أنه ناله[3]؟!

ووجدنا الكتب تنبئ بأنه نيل من جورجيس- أحد من كان على دين المسيح، من العذاب الشديد بالقتل والحرق والنشر بالمناشير ما لم يُسمع بمثله في أحد من الخلق[4].

---

[1] متى ٢٦:٣٩ "ثم تقدم قليلا، وخرَّ على وجهه، وكان يصلِّي قائلا: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت".

[2] يوحنا ١٢:٢٧ "الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول. أيها الأب! نجِّني من هذه الساعة".

[3] متى ٢٧:٤٦ "ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلي إيلي لما شبقتني أي: إلهي. الهي! لماذا تركتني؟!".

[4] ذكر الطبري خبر جرجيس قال: كان جرجيس فيما ذكر عبدا لله صالحا، من أهل فلسطين، ممن أدرك بقايا من حواريي عيسى بن مريم. وكان تاجرا يكسب بتجارته ما يستغني به عن الناس، ويعود بالفضل على أهل المسكنة. وإنه تجهَّز مرة إلى ملك بالموصل اسمه "داذانه". وكان قد ملك

الشام كله، وكان جبارا عاتيا، لا يطيقه إلا الله تعالى. وكان جرجيس رجلا صالحا من أهل فلسطين، وكان مؤمنا يكتم إيمانه في عصبة معه صالحين يستخفون بإيمانهم. وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين، فسمعوا منهم، وأخذوا عنهم.

وكان جرجيس كثير المال، عظيم التجارة، عظيم الصدقة. فكان يأتي عليه الزمان يتلف ماله في الصدقة حتى لا يبقى منه شيء، حتى يصير فقيرا. ثم يضرب الضربة، فيصيب مثل ماله أضعافا مضاعفة. فكانت هذه حاله في المال. وكان إنما يرغب في المال ويعمره ويكسبه من أجل الصدقة. لولا ذلك كان الفقر أحب إليه من الغنى. وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه؛ مخافة أن يؤذوه في دينه، أو يفتنوه عنه. فخرج يؤم ملك الموصل، ومعه مال يريد أن يهديه له، لئلا يجعل لأحد من تلك الملوك عليه سلطانا دونه. فجاءه حين جاءه وقد برز في مجلس له، وعنده عظماء قومه وملوكهم، وقد أوقد نارا، وقرب أصنافا من أصناف العذاب الذي كان يعذب به من خالفه، وقد أمر بصنم يقال له "أفلون"، فنصب فالناس يعرضون عليه. فمن لم يسجد له ألقي في تلك النار، وعذب بأصناف ذلك العذاب.

فلما رأى جرجيس ما يصنع، فظع به وأعظمه وحدثت نفسه بجهاده، وألقى الله في نفسه بغضه ومحاربته، فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه في أهل ملته، حتى لم يبق منه شيئا. وكره أن يجاهده بالمال، وأحب أن يلي ذلك بنفسه، فأقبل عليه عندما كان أشد غضبا وأسفا فقال له: أعلم أنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئا ولا لغيرك وأن فوقك ربا هو الذي يملكك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك وهو الذي يحييك ويميتك ويضرك وينفعك. وأنت قد عمدت إلى خلق من خلقه قال له: كن فكان، أصم أبكم، لا ينطق، ولا يبصر، ولا يسمع، ولا يضر، ولا ينفع، ولا يغني عنك من الله شيئا، فزينته بالذهب والفضة؛ لتجعله فتنة للناس. ثم عبدته دون الله، وأجبرت عليه عباد الله، ودعوته ربا.

فكلم الملك جرجيس بنحو هذا، من تعظيم الله وتمجيده، وتعريفه أمر الصنم وأنه لا تصلح عبادته، فكان من جواب الملك إياه: مسألته إياه عنه، ومن هو؟ ومن أين هو؟ فأجابه جرجيس أن قال: أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته. أذل عباده وأفقرهم إليه. من التراب خلقت، وفيه أصير.

وأخبره ما الذي جاء به وحاله. وإنه دعا ذلك الملك جرجيس إلى عبادة الله، ورفض عبادة الأوثان.
وإن الملك دعا جرجيس إلى عبادة الصنم الذي يعبده. وقال: لو كان ربك الذي تزعم أنه ملك الملوك كما تقول لرئي عليه أثره، كما ترى أثري على من حولي من ملوك قومي.

فأجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره، وقال له فيما قال: أين تجعل طرقبلينا؟ وما نال بولايتك؟ فإنه عظيم قومك من إلياس! وما نال إلياس بولاية الله، فإن إلياس كان بدؤه آدميا، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. فلم تتناه به كرامة الله حتى أنبت له الريش، وألبسه النور، فصار إنسيا ملكيا سمائيا أرضيا، يطير مع الملائكة.

وحدثني: أين تجعل مجليطيس؟ وما نال بولايتك؟ فإنه عظيم قومك من المسيح بن مريم! وما نال بولاية الله، فإن الله فضله على رجال العالمين، وجعله وأمه آية للمعتبرين! ثم ذكر من أمر المسيح ما كان الله خصه به من الكرامة.

وقال أيضا: وحدثني أين تجعل أم هذا الروح الطيب، التي اختارها الله لكلمته، وطهر جوفها لروحه، وسودها على إمائه؟ فأين تجعلها؟ وما نالت بولاية الله من أزبيل؟ وما نالت بولايتك؟ فإنها إذ كانت من شيعتك وملتك، أسلمها الله عند عظيم ملكها إلى نفسها، حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها، فانتهشت لحمها، وولغت دمها، وجرت الثعالب والضباع أوصالها. فأين تجعلها؟ وما نالت بولايتك من مريم ابنة عمران! وما نالت بولاية الله!

فقال له الملك: إنك لتحدثنا عن أشياء ليس لنا بها علم. فأتني بالرجلين اللذين ذكرت أمرهما، حتى أنظر إليهما، وأعتبر بهما. فإني أنكر أن يكون هذا في البشر.

فقال له جرجيس: إنما جاءك الإنكار من قبل الغرة بالله. وأما الرجلان فلن تراهما، ولن يرياك، إلا أن تعمل بعملهما، فتنزل منازلهما.

فقال له الملك: أما نحن، فقد أعذرنا إليك. وقد تبين لنا كذبك؛ لأنك فخرت بأمور عجزت عنها، ولم تأت بتصديقها.

ثم خيَّر الملك جرجيس بين العذاب، وبين السجود لأفلون فيثيبه.

فقال له جرجيس: إذ كان أفلون هو الذي رفع السماء. وعدَّد عليه أشياء من قدرة الله - فقد أصبت ونصحت لي، وإلا فاخسأ أيها النجس الملعون!

فلما سمعه الملك يسبه، ويسب آلهته غضب من قوله غضبا شديدا، وأمر بخشبة فنصبت له للعذاب، وجعلت عليه أمشاط الحديد، فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه، ينضح خلال ذلك بالخل والخردل.

فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فأحميت، حتى إذا جعلت نارا، أمر بها فسمر بها رأسه حتى سال منه دماغه.

فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بحوض من نحاس، فأوقد عليه حتى إذا جعله نارا، أمر به فأدخل في جوفه، وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد حره.

فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال: ألم تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به؟ فقال له جرجيس: أما أخبرتك أن لك ربا هو أولى بك من نفسك؟ قال: بلى قد أخبرتني! قال: فهو الذي حمل عني عذابك وصبرني ليحتج عليك.

فلما قال له ذلك، أيقن بالشر، وخافه على نفسه وملكه، وأجمع رأيه على أن يخلده في السجن. فقال الملأ من قومه: إنك إن تركته طليقا يكلم الناس، أوشك أن يميل بهم عليك، ولكن مُرْ له بعذاب في السجن يشغله عن كلام الناس.

فأمر فبطح في السجن على وجهه، ثم أوتد في يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد، في كل ركن منها وتد، ثم أمر بأسطوان من رخام فوضع على ظهره، حمل ذلك الأسطوان سبعة رجال فلم يقلوه، ثم أربعة عشر رجلا فلم يقلوه، ثم ثمانية عشر رجلا فأقلوه. فظل يومه ذلك موتدا تحت الحجر.

فلما أدركه الليل، أرسل الله إليه ملكا، وذلك أول ما أُيِّد بالملائكة، وأول ما جاءه الوحي، فقلع عنه الحجر، ونزع الأوتاد من يديه ورجليه، وأطعمه وسقاه، وبشره، وعزاه.

فلما أصبح أخرجه من السجن، وقال له: الحق بعدوك فجاهده في الله حق جهاده، فإن الله يقول لك: أبشر. واصبرا فإني أبتليك بعدوي هذا سبع سنين، يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرار، في كل ذلك أرد إليك روحك، فإذا كانت القتلة الرابعة تقبلت روحك، وأوفيتك أجرك.

فلم يشعر الآخرون إلا وقد وقف جرجيس على رءوسهم، يدعوهم إلى الله. فقال له الملك: أجرجيس؟ قال: نعم! قال: من أخرجك من السجن؟ قال: أخرجني الذي سلطانه فوق سلطانك!

فلما قال له ذلك ملئ غيظا، فدعا بأصناف العذاب حتى لم يخلف منها شيئا. فلما رآها جرجيس تصنف له أوجس في نفسه خيفة وجزعا، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته وهم يسمعون.

فلما فرغ من عتابه نفسه، مدوه بين خشبتين، ووضعوا عليه سيفا على مفرق رأسه، فنشروه حتى سقط بين رجليه، وصار جزلتين. ثم عمدوا إلى جزلتيه فقطعوهما قطعا. وله سبعة أسد ضارية في جب. وكانت صنفا من أصناف عذابه. ثم رموا بجسده إليها. فلما هوى نحوها، أمر الله الأسد فخضعت برءوسها وأعناقها، وقامت على براثنها لا تألو أن تقيه الأذى.

فظل يومه ذلك ميتا، فكانت أول ميتة ذاقها. فلما أدركه الليل، جمع الله له جسده الذي قطعوه بعضه على بعض، حتى سواه ثم رد فيه روحه، وأرسل ملكا فأخرجه من قعر الجب، وأطعمه وسقاه، وبشره وعزاه.

فلما أصبحوا قال له الملك: يا جرجيس! قال: لبيك! قال: اعلم أن القدرة التي خلق آدم بها من تراب هي التي أخرجتك من قعر الجب. فالحقْ بعدوك، ثم جاهده في الله حق جهاده، ومت موت الصابرين.

فلم يشعر الآخرون إلا وقد أقبل جرجيس، وهم عكوف على عيد لهم، قد صنعوه فرحا- زعموا بموت جرجيس. فلما نظروا إلى جرجيس مقبلا قالوا: ما أشبه هذا بجرجيس! قالوا: كأنه هو! قال الملك: ما بجرجيس من خفاء، إنه لهو. ألا ترون إلى سكون ريحه، وقلة هيبته؟ قال جرجيس: بلى أنا هو حقا! بئس القوم أنتم، قتلتم ومثلتم، فكان الله- وحق له- خيرا وأرحم منكم؛ أحياني وردَّ عليَّ روحي! هلمَّ إلى هذا الرب العظيم، الذي أراكم ما أراكم.

فلما قال لهم ذلك، أقبل بعضهم على بعض فقالوا: ساحر سحر أيديكم وأعينكم عنه. فجمعوا له من كان ببلادهم من السحرة. فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم: اعرض علي من كبير سحرك ما تسري به عني. قال له: ادع لي بثور من البقر. فلما أتي به نفث في إحدى أذنيه فانشقت باثنتين، ثم نفث في الأخرى فإذا هو ثوران. ثم أمر ببذر فحرث، وبذر ونبت الزرع، وأينع وحصد ثم ديس وذري، وطحن وعجن، وخبز وأكل ذلك في ساعة واحدة. كما ترون.

قال له الملك: هل تقدر على أن تمسخه لي دابة؟ قال الساحر: أي دابة أمسخه لك؟ قال: كلبا. قال: ادع لي بقدح من ماء. فلما أتي بالقدح نفث فيه الساحر، ثم قال للملك: اعزم عليه أن يشربه. فشربه جرجيس حتى أتى على آخره. فلما فرغ منه قال له الساحر: ماذا تجد؟ قال: ما أجد إلا خيرا، قد كنت عطشت، فلطف الله لي بهذا الشراب، فقواني به عليكم.

فلما قال له ذلك، أقبل الساحر على الملك، فقال: اعلم أيها الملك أنك لو كنت تقاسي رجلا مثلك إذا كنت غلبته ولكنك تقاسي جبار السموات. وهو الملك الذي لا يُرام.

وقد كانت امرأة مسكينة سمعت بجرجيس وما يصنع من الأعاجيب، فأتته وهو في أشد ما هو فيه من البلاء، فقالت له: يا جرجيس! إني امرأة مسكينة. لم يكن لي مال ولا عيش، إلا ثور كنت أحرث عليه فمات، وجئتك لترحمني وتدعو الله أن يحيي لي ثوري. فذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحيي لها ثورها. وأعطاها عصا فقال: اذهبي إلى ثورك فاقرعيه بهذه العصا، وقولي له: احي بإذن الله.

فقالت: يا جرجيس! مات ثوري منذ أيام، وتفرقته السباع، وبيني وبينك أيام. فقال: لو لم تجدي منه إلا سنا واحدة، ثم قرعتها بالعصا، لقام بإذن الله.

فانطلقت حتى أتت مصرع ثورها، فكان أول شيء بدا لها من ثورها، أحد روقيه وشعر ذنبه فجمعت أحدهما إلى الآخر، ثم قرعتهما بالعصا التي أعطاها، وقالت كما أمرها فعاش ثورها وعملت عليه حتى جاءهم الخبر بذلك.

فلما قال الساحر للملك ما قال، قال رجل من أصحاب الملك، وكان أعظمهم بعد الملك: اسمعوا مني أيها القوم أحدثكم! قالوا: نعم! فتكلم قال: إنكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر، وزعمتم أنه سحر أيديكم عنه وأعينكم. فأراكم أنكم تعذبونه ولم يصل إليه عذابكم. وأراكم أنكم قد قتلتموه فلم يمت. فهل رأيتم ساحرا قط قدر أن يدرأ عن نفسه الموت، أو أحيا ميتا قط.

ثم قص عليهم فعل جرجيس، وفعلهم به، وفعله بالثور وصاحبته، واحتج عليهم بذلك كله. فقالوا له: إن كلامك لكلام رجل قد أصغى إليه. قال: ما زال أمره معجبا منذ رأيت منه ما رأيت. قالوا له: فلعله استهواك؟ قال: بل آمنت، وأشهد الله أني بريء مما تعبدون. فقام إليه الملك وصحابته بالخناجر فقطعوا لسانه، فلم يلبث أن مات. وقالوا: أصابه الطاعون؛ فأعجله الله قبل أن يتكلم.

فلما سمع الناس بموته أفزعهم، وكتموا شأنه. فلما رآهم جرجيس يكتمونه، برز للناس فكشف له أمره، وقص عليهم كلامه. فاتبعه على كلامه أربعة آلاف وهو ميت. فقالوا: صدق، ونعم ما قال يرحمه الله! فعمد إليهم الملك فأوثقهم. ثم لم يزل يلون لهم العذاب، ويقتلهم بالمثلات حتى أفناهم.

فلما فرغ منهم، أقبل على جرجيس فقال له: هلا دعوت ربك فأحيا لك أصحابك هؤلاء، الذين قتلوا بجريرتك؟ فقال له جرجيس: ما خلى بينك وبينهم، حتى خار لهم؟ فقال رجل من عظمائهم

يقل له مجليطيس: إنك زعمت يا جرجيس أن إلهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده. وإني سائلك أمرا، إن فعله إلهك آمنت بك وصدقتك، وكفيتك قومي هؤلاء. هذه تحتنا أربعة عشر منبرا حيث ترى، ومائدة بيننا عليها أقداح وصحاف. وكل صنع من الخشب اليابس، ثم هو من أشجار شتى، فادع ربك ينشئ هذه الآنية، وهذه المنابر، وهذه المائدة كما بدأها أول مرة، حتى تعود خضرا، نعرف كل عود منها بلونه وورقه وزهره وثمره.

فقل له جرجيس: قد سألت أمرا عزيزا علي وعليك، وإنه على الله لهين. فدعا ربه فما برحوا مكانهم حتى اخضرت تلك المنابر، وتلك الآنية كلها، فساخت عروقها، وألبست اللحاء، وتشعبت ونبت ورقها، وزهرها وثمرها، حتى عرفوا كل عود منها باسمه ولونه، وزهره وثمره.

فلما نظروا إلى ذلك، انتدب له مجليطيس الذي تمنى عليه ما تمنى. فقال: أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يضل عنه كيده. فعمد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور جوفاء واسعة. ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا. ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها. ثم أوقد تحت الصورة فلم يزل يوقد حتى التهبت الصورة، وذاب كل شيء فيها واختلط، ومات جرجيس في جوفها.

فلما مات أرسل الله ريحا عاصفا، فملأت السماء سحابا أسود مظلما فيه رعد لا يفتر، وبرق وصواعق متداركات، وأرسل الله إعصارا عاصفا؛ فملئت بلادهم عجاجا وقتاما، حتى اسود ما بين السماء والأرض وأظلم، ومكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار.

وأرسل الله ميكائيل، فاحتمل الصورة التي بها جرجيس، حتى إذا أقلها، ضرب بها الأرض ضربا فزع من روعته أهل الشام أجمعون، وكلهم يسمعه في ساعة واحدة، فخروا لوجوههم صعقين من شدة الهول. وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا. فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة، وأسفر ما بين السماء والأرض، ورجعت إليهم أنفسهم. فقل له رجل منهم يقال له طرقبلينا: لا ندري يا جرجيس، أنت تصنع هذه العجائب، أم ربك؟ فإن كان هو الذي يصنعها؛ فادعه يحي لنا موتانا؛ فإن في هذه القبور التي ترى أمواتا من أمواتنا، منهم من نعرفه، ومنهم من مات قبل زماننا. فادعه يحييهم حتى يعودوا كما كانوا. ونكلمهم ونعرف من عرفنا منهم. ومن لا نعرف أخبرنا خبره.

قل له جرجيس: لقد علمت ما يصفح الله عنكم هذا الصفح، ويريكم هذه العجائب، إلا ليتم عليكم حججه؛ فتستوجبوا بذلك غضبه.

ثم أمر بالقبور فنبشت، وهي عظام ورفات ورميم. ثم أقبل على الدعاء. فما برحوا مكانهم حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً: تسعة رهط، وخمس نسوة وثلاثة صبية، فإذا شيخ منهم كبير، فقال له جرجيس: أيها الشيخ ما اسمك؟ فقال: اسمي يوبيل. فقال: متى مت؟ قال: في زمان كذا وكذا. فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعمائة عام.

فلما نظر إلى ذلك الملك وصحابته قالوا: لم يبق من أصناف عذابكم شيء إلا قد عذبتموه إلا الجوع والعطش فعذبوه بهما. فعمدوا إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان حرزاً، وكان لها ابن أعمى أبكم مقعد، فحصروه في بيتها. فلا يصل إليه من عند أحد طعام ولا شراب.

فلما بلغه الجوع قال للعجوز: هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: لا والذي يحلف به ما عهدنا بالطعام منذ كذا وكذا، وسأخرج وألتمس لك شيئاً. قال لها جرجيس: هل تعرفين الله؟ قالت له: نعم. قال: فإياه تعبدين؟ قالت: لا. قال: فدعاها إلى الله فصدقته، وانطلقت تطلب له شيئاً. وفي بيتها دعامة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت، فأقبل على الدعاء فما كان كشيء حتى اخضرت تلك الدعامة، فأنبتت كل فاكهة تؤكل، أو تعرفه أو تسمي، حتى كان فيما أنبت اللياء واللوبياء.

(قال أبو جعفر: اللياء نبت بالشام، له حب يؤكل).

وظهر للدعامة فرع من فوق البيت، أظله وما حوله وأقبلت العجوز، وهو فيما شاء يأكل رغداً. فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت: آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع، فادع هذا الرب العظيم ليشفي ابني. قال: أدنيه مني. فأدنته منه فبصق في عينيه فأبصر. فنفث في أذنيه فسمع. قالت له: أطلق لسانه ورجليه رحمك الله! قال: أخريه فإن له يوماً عظيماً.

وخرج الملك يسير في مدينته، فلما نظر إلى الشجرة قال لأصحابه: إني أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها بها! قالوا له: تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع، فهو فيما شاء قد شبع منها، وشبعت الفقيرة، وشفى لها ابنها.

فأمر بالبيت فهدم، وبالشجرة لتقطع، فلما همَّ بقطعها أيبسها الله تعالى كما كانت أول مرة فتركوها، وأمر بجرجيس فبطح على وجهه، وأوتد له أربعة أوتاد، وأمر بعجل فأوقر أسطواناً ما حمل، وجعل في أسفل العجل خناجر وشفاراً، ثم دعا بأربعين ثوراً فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فتقطع ثلاث قطع، ثم أمر بقطعة فأحرقت بالنار، حتى إذا عادت رماداً، بعث بذلك

الرماد رجالا فذروه في البحر. فلم يبرحوا مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يقول: يا بحر إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب؛ فإني أريد أن أعيده كما كان.

ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر، ثم جمعته حتى عاد الرماد صبرة، كهيئته قبل أن يذروه. والذين ذروه قيام لم يبرحوا. ثم نظروا إلى الرماد يثور كما كان، حتى خرج جرجيس مغبرا ينفض رأسه، فرجعوا ورجع جرجيس معهم. فلما انتهوا إلى الملك أخبروه خبر الصوت الذي أحياه، والريح التي جمعته. فقال له الملك: هل لك يا جرجيس فيما هو خير لي ولك؟ فلولا أن يقول الناس إنك قهرتني وغلبتني لاتبعتك، وآمنت بك، ولكن اسجد لأفلون سجدة واحدة، أو اذبح له شاة واحدة، ثم أنا أفعل ما يسرك!

فلما سمع جرجيس هذا من قوله، طمع أن يهلك الصنم حين يدخله عليه، رجاء أن يؤمن له الملك حين يهلك صنمه وييئس منه. فخدعه جرجيس فقال: نعم إذا شئت فأدخلني على صنمك، أسجد له، وأذبح له. ففرح الملك بقوله، فقام إليه فقبل يديه ورجليه ورأسه، وقال: إني أعزم عليك ألا تظل هذا اليوم، ولا تبيت هذه الليلة إلا في بيتي، وعلى فراشي، ومع أهلي، حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب، فيرى الناس كرامتك عليّ.

فأخلى له بيته، وأخرج منه من كان فيه. فظل فيه جرجيس، حتى إذا أدركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور، وكان أحسن الناس صوتا. فلما سمعته امرأة الملك استجابت له ولم يشعر إلا وهي خلفه تبكي معه. فدعاها جرجيس إلى الإيمان فآمنت، وأمرها فكتمت إيمانها.

فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها. وقيل للعجوز التي كان سجنه بيتها: هل علمت أن جرجيس قد فتن بعدك وأصغى إلى الدنيا، وأطمعه الملك في ملكه، وقد خرج به إلى بيت أصنامه ليسجد لها؟! فخرجت العجوز في أعراضهم، تحمل ابنها على عاتقها، وتوبخ جرجيس، والناس مشتغلون عنها.

فلما دخل جرجيس بيت الأصنام، ودخل الناس معه. نظر فإذا العجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس منه مقاما، فدعا ابن العجوز باسمه فنطق بإجابته، وما تكلم قبل ذلك قط. ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشي على رجليه سويتين، وما وطئ الأرض قبل ذلك قط بقدميه.

فلما وقف بين يدي جرجيس قال: اذهب فادع لي هذه الأصنام. وهي حينئذ على منابر من ذهب: واحد وسبعون صنما. وهم يعبدون الشمس والقمر معها. فقال له الغلام: كيف أقول للأصنام؟

قل تقول لها: إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقك إلا ما جئته. فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تدحرج إلى جرجيس. فلما انتهت إليه ركض الأرض برجله، فخسف بها وبمنابرها.

وخرج إبليس من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف، فلما مرَّ بجرجيس أخذ بناصيته فخضع له برأسه وعنقه. وكلمه جرجيس فقال له: أخبرني أيتها الروح النجسة والخلق الملعون! ما الذي يحملك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم؟ فقال له إبليس: لو خيرت بين ما أشرقت عليه الشمس وأظلم عليه الليل، وبين هلكة بني آدم وضلالتهم أو واحد منهم طرفة عين، لاخترت طرفة العين على ذلك كله. وإنه ليقع لي من الشهوة في ذلك واللذة مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق! ألم تعلم يا جرجيس أن الله أسجد لأبيك آدم جميع الملائكة، فسجد له جبريل وميكائيل وإسرافيل، وجميع الملائكة المقربين، وأهل السموات كلهم، وامتنعت من السجود فقلت: لا أسجد لهذا الخلق وأنا خير منه؟

فلما قال هذا خلاه جرجيس، فما دخل إبليس منذ يومئذ جوف صنم مخافة الخسف، ولا يدخله بعدها فيما يذكرون أبدا.

وقال الملك: يا جرجيس! خدعتني وغررتني، وأهلكت آلهتي! فقال له جرجيس: إنما فعلت ذلك عمدا! لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آلهة كما تقول إذا لامتنعت مني فكيف ثقتك- ويلك- بآلهة لم تمنع أنفسها مني، وإنما أنا مخلوق ضعيف لا أملك إلا ما ملكني ربي؟!

قال: فلما قال هذا جرجيس، كلمتهم امرأة الملك، وذلك حين كشفت لهم إيمانها، وباينتهم بدينها، وعددت عليهم أفعال جرجيس، والعبر التي أراهم، وقالت لهم: ما تنتظرون من هذا الرجل إلا دعوة فتخسف بكم الأرض، فتهلكوا كما هلكت أصنامكم! الله، الله، أيها القوم في أنفسكم! فقال لها الملك: ويحا لك إسكندرة! ما أسرع ما أضلك هذا الساحر في ليلة واحدة، وأنا أقاسيه منذ سبع سنين، فلم يطق مني شيئا!

قالت له أفما رأيت الله! كيف يظفره بك، ويسلطه عليك، فيكون له الفلج والحجة عليك في كل موطن؟! فأمر بها عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها فعلقت بها، وجعلت عليها الأمشاط التي جعلت على جرجيس. فلما ألمت من وجع العذاب، قالت: ادع ربك يا جرجيس يخفف عني، فإني قد ألمت من العذاب! فقال: انظري فوقك! فلما نظرت ضحكت. فقال

ونال خلقًا كثيرًا من تلامذته أيضًا عذاب شديد[1].

وقيل: لمَّا كان الملوك المحاربون لهم يسومونهم إياه من الرجوع عن أديانهم، إلى الكفر الذي كان أولئك الملوك عليه، فصبروا على ذلك واحتسبوا أنفسهم، فلم يهربوا من الموت، وقد كان يمكنهم الهرب من بلد إلى بلد، والاستتار وإخفاء أشخاصهم. وما أظهروا في حال من تلك الأحوال جزعًا، ولا هلعًا، وهم بعض الآدميين التابعين له؛ لأنه خَفَّفَ عنهم ما كانوا ينالون به، بتأييد الله ﷻ إياهم!

حجج ونقضها

ثم نقول قولا آخر: قد نستدل على صحة هذه الشريعة من سقمها، بأربعة

لها: ما الذي يضحكك؟ قالت: أرى ملكين فوقي، معهما تاج من حُلي الجنة، ينتظران به روحي أن تخرج، فإذا خرجت زيناها بذلك التاج، ثم صعدا بها إلى الجنة.

فلما قبض الله روحها، أقبل جرجيس على الدعاء، فقال: اللهم أنت الذي أكرمتني بهذا البلاء؛ لتعطيني به فضائل الشهداء! اللهم فهذا آخر أيامي الذي وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا! اللهم فإني أسألك ألا تقبض روحي، ولا أزول من مكاني هذا، حتى تنزل بهذا القوم المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم به، وما تشفي به صدري، وتقر به عيني فإنهم ظلموني وعذبوني! اللهم وأسألك ألا يدعو بعدي داع في بلاء ولا كرب- فيذكرني ويسألك باسمي، إلا فرجت عنه ورحمته، وأجبته وشفعتني فيه.

فلما فرغ من هذا الدعاء، أمطر الله عليهم النار. فلما احترقوا عمدوا إليه، فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق، ليعطيه الله تعالى بالقتلة الرابعة ما وعده.

فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها، وصارت رمادا. حملها الله من وجه الأرض حتى أقلها، ثم جعل عاليها سافلها، فلبثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها دخان منتن، لا يشمه أحد إلا سقم سقما شديدا، إلا أنها أسقام مختلفة، لا يشبه بعضها بعضا. فكان جميع من آمن بجرجيس وقتل معه: أربعة وثلاثين ألفا، وامرأة الملك- رحمها الله (تاريخ الطبري ٣٨٦/١).

[1] أعمال الرسل ٨: ١ "وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة، ما عدا الرسل".

أوجه. لا يقع في شيء منها شك، ولا طعن، ولا زيادة، ولا نقصان. وهي أصل أمر المسيح عندكم:

فأولها: البشرى التي أتى بها جبريل ﷺ.

والثانية: قول يحيى بن زكريا، الذي شهد له المسيح بأنه لم تقم النساء عن مثله[1].

والثالثة: النداء المسموع من السماء.

والرابعة: قول المسيح عن نفسه حين سأله يحيى عن شأنه.

والذي قال جبريل- على ما ثبت في إنجيلكم لمريم حين بشَّرَها:

"السلام عليك أيتها الممتلئة نعمًا. ربنا معك أيتها المباركة في النساء. فلمَّا رأته مريم ذُعرتْ منه. فقال: لا ترهبي يا مريم، فقد فزتِ بنعمة من ربك. فها أنت تحبلين وتلدين ابنًا. وتسمينه يسوع. ويكون كبيرًا. ويُسمَّى: ابن الله العلي. ويعطيه الله الرب كرسي أبيه داود. ويكون ملكًا على آل يعقوب إلى الأبد. فقالت مريم: أنَّى يكون لي ذلك، ولم يمسسني رجل. قال لها الملك: إن روح القدس يأتيك. أو قال: يحل فيك. وقوة العلي تحبلك من أجل ذلك. يكون الذي يولد منك قديسًا. ويسمى ابن الله العلي"[2].

فلمْ نرَ الملَك قال لها: إن الذي تلدين هو خالقك، وهو الرب كما سميتموه. بل أزال الشك في ذلك؛ بأن قال: إن الله الرب يعطيه كرسي أبيه داود، ويصطفيه، ويكرمه، وإن داود النبي أبوه، وإنه يُسمَّى: ابن الله.

وما قال أيضًا: إنه يكون مِلكًا على الأرض، وإنما جعل له الملك على بني إسرائيل فقط.

---

[1] متى ١١:١١ "الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان".

[2] لوقا: ٢٨/١-٣٥.

وقد علمتم: أنَّ مَنْ يُسمَّى بابن الله كثير لا يُحْصَون. فمن ذلك إقراركم بأنكم جميعًا أبناء الله بالمحبة[1]، وقول المسيح: "أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم"[2]، في غير موضع من الإنجيل. ثم تسمية الله يعقوب[3]، وغيره: بنيه خصوصًا[4].

فالسبيل في المسيح- إذا لم تلحقوه في هذا الاسم بالجمهور: أن يجري في هذه التسمية مجرى الجماعة الذين اختُصوا بها من الأنبياء، والأبرار.

ونسبة الملك إياه إلى أبيه داود، تحقق أن أباه داود، وأن التسمية الأولى على جهة الاصطفاء، والمحبة، وأن حلول الروح عليه، على الجهة التي قالها متَّى التلميذ للشعب عن المسيح في الإنجيل: "لستم أنتم متكلمين، بل روح الله تأتيكم، تتكلم فيكم"[5].

فأخبر أن الروح تحل في القوم أجمعين، وتتكلم فيهم[6].

---

[1] هناك آيات كثيرة في العهدين القديم والجديد مصرِّحة بذلك، منها: (متى ٥:٩) "طوبى لصانعي السلام. لأنهم أبناء الله يُدْعون". (لوقا ٢٠:٣٦) "إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضا؛ لأنهم مثل الملائكة، وهم أبناء الله؛ إذ هم أبناء القيامة". (رومية ٨:١٤) "لأن كل الذين ينقادون بروح الله؛ فأولئك هم أبناء الله". (غلاطية ٣:٢٦) "لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع".

[2] يوحنا ٢٠:١٧ "قال لها يسوع: لا تلمسيني؛ لأني لم اصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي، وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم".

[3] خروج ٤:٢٢ فتقول لفرعون: هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر".

[4] وفي المزامير ٢:٧ "إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك".

[5] متى ١٠:٢٠ "لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم".

[6] أخبر الكتاب المقدس بحلول روح الله في كثيرين. ومن ذلك ما في صموئيل الأول (١١:٦): "فحلّ روح الله على شاول عندما سمع هذا الكلام، وحمي غضبه جدا". وما في أخبار الأيام الثاني (٢٤:٢٠): "ولبس روح الله زكريا بن يهوياداع الكاهن؛ فوقف فوق الشعب وقال لهم: هكذا يقول الله: لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون؟ لأنكم تركتم الرب قد تركّكما". وواضح أن حلول روح الله معناه الوحي والنبوة.

وقال الملك في بشارته لمريم بالمسيح ﷺ: "إنه يكون ملكًا على آل يعقوب"[1]. فخصَّ آل يعقوب بتملكه عليهم دون غيرهم من الناس. ولم يقل إنه يكون إلهًا للخلائق.

ومعنى قول جبريل ﷺ لمريم: "ربنا معك"، مثل معنى قول الله ﷻ لموسى، وغيره من الأنبياء: "إني معكم"[2]. فقد قال ليوشع بن نون: "إني أكون معك، كما كنت مع موسى عبدي"[3].

فقول النصارى كلهم في مجاري لغتهم، ومعاني ألفاظهم: إن الله ﷻ، وروح القدس، مع كل خطيب، وراهب، وفاضل في دينه على هذه السبيل[4].

وأما النداء الذي سمعه يحيى بن زكريا من السماء في المسيح، وشهادة يحيى له، فإن متَّى قال في إنجيله: "إن المسيح ﷺ لمَّا خرج من الأردن، تفتحتْ له السماء، فنظرَ يحيى إلى روح القدس قد نزلت على المسيح كهيئة حمامة، وسمع نداء من

---

[1] في لوقا (٣٣:١) "ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية".

[2] من ذلك قوله في سفر التكوين (٢٤:٢٦): "فظهر له الرب في تلك الليلة، وقال: أنا إله إبراهيم أبيك. لا تخف لأني معك، وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدي".

[3] يشوع ٧:٣ "فقال الرب ليشوع: اليوم ابتدئ أعظمك في أعين جميع إسرائيل؛ لكي يعلموا أنني كما كنت مع موسى أكون معك".

[4] رومية ٩:٨ "وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكنا فيكم. ولكن إن كان احد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له".

وفي لوقا، الإصحاح الثاني: ٢٥ "وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان. وهذا الرجل كان بارًا تقيًا ينتظر تعزية إسرائيل، والروح القدس كان عليه. ٢٦ وكان قد أوحي إليه بالروح القدس: أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب".

السماء: إن هذا ابني الحبيب الذي اصطفيته"[1].

فقد علمنا وعلمتم: أن المصطفى مفعول، والمفعول مخلوق. وليس يستنكف المسيح ﷺ من الاعتراف بذلك في كل كلامه. وما زال يقول: "إلهي وإلهكم. وأبي وأبيكم"[2]. وكلامه يصحح به أنه عبد مرسل، مربوب، مبعوث، مأمور، يؤدي ما سمع، ويفعل ما حُدَّ له. ونحن نشرح هذا في موضعه من هذا الكتاب- إن شاء الله تعالى.

وقد وجدنا المسيح ﷺ احتاج إلى تكميل أمره بمعمودية يحيى له، فصار إليه لذلك، وسأله إياه. فليس مرتبة المقصود بدون مرتبة القاصد الراغب.

النصارى مخالفون للإنجيل

وقال لوقا التلميذ في إنجيله: "إن يحيى المعمداني أرسلَ إلى المسيح بعد أن عمَّده، وسأله: أنت ذلك الذي تجيء، أو نتوقع غيرك؟ فكان جواب المسيح لرسله: أن ارجعوا فأخبروه بما ترون من عميان يبصرون، وزمنى[3] ينهضون، وصُم

---

[1] في متى الإصحاح الثالث: ١٣ "حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن، إلى يوحنا ليعتمد منه. ١٤ ولكن يوحنا منعه قائلا: أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي إلي؟ ١٥ فأجاب يسوع، وقال له: اسمح الآن:لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر. حينئذ سمح له. ١٦ فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة، وآتيًا عليه. ١٧ وصوت من السموات قائلا: هذا هو ابني الحبيب، الذي به سُررت".

[2] يوحنا ٢٠:١٧ "قال لها يسوع: لا تلمسيني؛ لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم".

[3] زَمْنى: زَمِنَ الشخص زَمَنًا وزَمَانَةً فهو زَمِنٌ. من باب: تعب. وهو مرض يدوم زماناً طويلاً. والقوم زَمْنَى، مثل مرضى (المصباح المنير ١/٢٥٧). وفي الأصل: زمن. فأصلحتها إلى الجمع لتستقيم الصياغة.

يسمعون. فَطُوبَى لمن لم يَعْثَرَ بي، أو يَزِل في أمري"[1].

فوجدنا يحيى مع محله، وجلالة قدره عند الله ﷻ، ثم ما شهد به المسيح له، من أنه: "ما قامت النساء عن مثله"[2]، قد شكَّ فيه، فاحتاج إلى أن يسأله عن شأنه. ثم لم يكن من جواب المسيح له بشيء، مما تصفون من الربوبية. ولا قال: إني خالقك وخالق كل شيء، كما في شريعة إيمانكم. بل حذر الغلط في أمره والاغترار. ولا كان من قوله أكثرَ مما ذكر، أنه أظهرُ بنبوته من هذه الآيات التي سبق إلى مثلها أكثر الأنبياء.

ولا رأينا يحيى زاد في وضعه إياه لمَّا قرَّظه[3]، وأعلى ذكره، مع تشككه في أمره، وحاجته إلى مسألته عن حاله- على أن قال: "هو أقوى منِّي. وإني لا أستحق أن أحلَّ معقد خُفِّهِ"[4].

ولم يقل: إنه خالقي.

وقد يقول الرجل الخيِّر فيمن هو دونه مثل الذي قال يحيى فيه؛ تواضعًا لله؛ وخشوعًا، كما قال المسيح في يحيى: "إنه ما قامت النساء عن مثله".

---

[1] لوقا الإصحاح السابع: ١٩ "فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلا: أنت هو الآتي، أم ننتظر آخر؟ ٢٠ فلما جاء إليه الرجلان قالا: يوحنا المعمدان قد أرسلنا إليك قائلا: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ ٢١ وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض، وأدواء، وأرواح شريرة، ووهب البصر لعميان كثيرين. ٢٢ فأجاب يسوع، وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما. إن العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون.٢٣ وطوبى لمن لا يعثر فيَّ".

[2] متى ١١/١١.

[3] قرَّظه: التَّقْرِيظُ هو مَدْحُ الإنسان وهو حَيٌّ بحَقّ أو باطِلٍ (القاموس المحيط ١/٩٠٩).

[4] لوقا ٣:١٦ "أجاب يوحنا الجميع قائلا: أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحل سيور حذائه".

فتركتم ما أتت به الرسل والنبوات في المسيح، وهو أصلكم الذي وقع عليه بناؤكم، وجعلتم لأنفسكم شريعة غيرها.

ومثل الذين عقدوا هذه الشريعة لكم، مثل مَنْ آمن بنبوة رجل ينتفي من النبوة؛ لأنّ المسيح ﷺ يقول: إنه مربوب مبعوث. ويقول جبريل: إنه مكرم مصطفى، وإن أباه داود، وإن الله جعله ملكاً على آل يعقوب. وينادي منادٍ من السما، بمثل ذلك. ويشهد يحيى بن زكريا على مثله.

وتقولون: بل هو خالق أزلي، إلا أنه يستّر نفسه!

ويقول المسيح، وغيره ممن سمّينا: إنه معطًى، وإن الله معطيه[1].

وتقولون: بل رازق النعم وواهبها.

ويقول: إن الله أرسله[2].

وتقولون: بل هو الذي نَزَل لخلاصنا.

وتعتقدون سبب نزوله من السما،: أنه أراد أن يُخلصكم، ويحتمل الخطيئة، ويربط الشيطان.

---

[1] لوقا ٢:٤٠ "وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح، ممتلئا حكمة، وكانت نعمة الله عليه".

يوحنا ١٧:٧ "والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك ١٧:٨ لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعلموا يقينا أني خرجت من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتني".

[2] يوحنا ٨:٤٢ "فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني؛ لأني خرجت من قبل الله وأتيت، لأني لم آت من نفسي، بل ذاك أرسلني".

يوحنا ١:٣٣ "وأنا لم أكن أعرفه. لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلا ومستقرا عليه، فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس".

لوقا ١٠:١٦ "الذي يسمع منكم يسمع مني، والذي يرذلكم يرذلني، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني".

متى ١٠:٤٠ "من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني".

فقد وجدنا الخلاص لم يقع، والخطيئة قائمة لم تزل، والشيطان أعتى ما كان يربط. بل سلطه الله عليه- على ما تقولون- فحصره في الجبل أربعين يومًا يمتحنه[1].

وقال له في بعض أحواله معه: "إن كنتَ ابن الله، فقل لهذه الصخور تصير خبزًا. فقال له المسيح مجيبًا له: إنه مكتوب أن حياة الإنسان لا تكون بالخبز، بل بكل كلمة تخرج من الله"[2].

ثم ساقه الشيطان إلى مدينة بيت المقدس، وأقامه على قُرْنة الهيكل[3]، وقال له: "إن كنت ابن الله! فارمِ بنفسك من ههنا؛ فإنه مكتوب: "إن الملائكة تُوكل بك؛ لئلا تعثر رجلك بالحجر". قال يسوع: ومكتوب أيضًا: "لا تُجَرِّب الربَّ إلهك"[4].

ثم ساقه إلى جبل عال، وأراه جميع مملكات الدنيا وزخارفها، وقال له: إن خررتَ على وجهك ساجدًا لي، جعلتُ هذا الذي ترى كله لك. قال له المسيح: اغربْ أيها الشيطان! فإنه مكتوب: "اسجد للرب إلهك، ولا تعبد شيئًا سواه"[5].

---

[1] مرقس ١:١٣ "وكان هناك في البرية أربعين يومًا يُجرَّب من الشيطان".

[2] متى ٤:٣ "فتقدم إليه المجرب، وقال له: إن كنت ابن الله فقل: أن تصير هذه الحجارة خبزا.٤:٤ فأجاب وقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله".

[3] قرنة: قُرْنةُ السيف والسِّنان وقَرْنهما حدُّهما. وقُرْنةُ النَّصْلِ طرَفه، وقيل: قُرْنتاه ناحيتاه من عن يمينه وشماله. والقُرْنة بالضم الطرَف الشاخص من كل شيء. يقال: قُرْنة الجَبَل، وقُرْنة النَّصْلِ وقُرْنة الرحم لإِحدى شُعْبَتَيه (لسان العرب ٣٣٦/١٣).

[4] متى ٤:٥ "ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأوقفه على جناح الهيكل. ٦ وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل. لأنه مكتوب: إنه يوصي ملائكته بك. فعلى أياديهم يحملونك؛ لكي لا تصدم بحجر رجلك ٧ قال له يسوع: مكتوب أيضا: لا تجرب الرب إلهك".

[5] متى٤:٨ "ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. ٤:٩ وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت، وسجدت لي. ٤:١٠ حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان. لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد.

ثم بعث الله ﷻ ملكًا، اقتلع العدو من مكانه، ورمى به في البحر، وأطلق السبيل للمسيح[1].

أفلا يعلم من كان في عقله أدنى مُسْكَة[2]، أن هذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إله؟! ولو كان إلهًا لأزاله عن نفسه، قبل أن يأتيه الملك من عند ربه، ولما قال: أُمرنا أن لا نُجَرِّب الله، وأن نسجد للرب، ولا نعبد شيئا سواه. وكيف لم يربط الشيطان عن نفسه قبل أن يربط عن أمته؟!

فهذه أمور إذا تأملها المتأمل قبحت جدًا، وكثر اختلافها، واشتد تناقضها واضطرابها.

نقض عقيدة الاتحاد.

ومما يُعجب منه: أنكم تعتقدون أن الابن الأزلي اتحد بالمسيح؛ فصارا بجهة واحدة، ولم يفارقه قطّ منذ اتحَدَ به. ومكثَ على ذلك في بطن أمه تسعة أشهر، ثم أقام مولودًا، وتغذى باللبن، ومربوبًا صبيًا مغذى بالأغذية إلى أن بلغ ثلاثين سنة، لا يظهر منه شيء من آلة الربوبية، ولا أمر يوجب هذا المحل، ولا كان بينه وبين نظرائه من الآدميين فرق، ولا سطع منه نور، ولا ظهرت له سكينة، ولا حفتْهُ الملائكة بالتهليل، ولا ألمَّ به الشعث[3] بعد ذلك، فوق ما كان من الأنبياء قبله.

---

[1] لم أجد هذا المعنى في الإنجيل الذي بين أيدينا الآن.

[2] مُسْكَةٌ من عقل: أي بقية (مختار الصحاح، ص٦٤٢).

[3] الأشعث: هو الذي تفرق شعره، والمراد به الذي تفرق أمره، وأصابته الأحوال الرديئة من جوع، وعطش، ومرض، وفقر...إلخ.

فقد كلم الله موسى من العوسجة[1] كيف شاء؛ فأشرق ما حولها نوراً[2]. وكلّمه من طور سيناء؛ فاضطربتْ في الجبل النيران، والتبسَ وجهه النور الساطع، حتى كان يتبرقع إذا جلس مع بني إسرائيل بعد ذلك؛ لأنهم كانوا لا يستطيعون النظر إليه[3].

ثم سأل موسى ربه ﷻ لمَّا قرب منه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً﴾(الأعراف:١٤٣). فلمَّا أفاق من صعقته، استغفر ربه فتاب عليه[4].

وتجلى مجد الله لجماعة من الأنبياء؛ فرأوا حول مجده ربوات الملائكة[5].

---

[1] العوسجة: واحدة العَوْسَجُ، شجر من شجر الشَّوْك وله ثمر أحمر مُدَوَّرٌ، كأنه خرز العقيق (لسان العرب ٣٢٤/٢).

[2] خروج ٣:٣ "فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة؟ ٣:٤ فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة، وقال: موسى، موسى! فقال: هأنذا".

[3] خروج ٣٤:٢٩ "وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه. ٣٤:٣٠ فنظر هرون وجميع بني إسرائيل موسى، وإذا جلد وجهه يلمع. فخافوا أن يقتربوا إليه. ٣٤:٣١ فدعاهم موسى. فرجع إليه هرون وجميع الرؤساء في الجماعة فكلمهم موسى. ٣٤:٣٣ ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعاً".

[4] قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} (الأعراف:١٤٣).

[5] عدد ٢٠:٦ "فأتى موسى وهرون من أمام الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع، وسقطا على وجهيهما، فتراءى لهما مجد الرب".

وقال داود: "يا رب إنك حيثُ عبرتَ ببلاد سنين، تزلزلت الأرض منك، وانفطرتْ من هيبتك"[1].

وقال أيضًا كالمخاطب للبحر والجبال والمتعجب منها: "ما لك أيها البحر هاربًا! وأنت يا نهر الأردن! لِـمَ وليتَ راجعًا؟! وما لكِ أيتها الجبال تنفرين كالأبابيل! وما لكُنَّ أيتها الشوامخ والهضبات تنزو نزو الشياه!"[2].

ثم قال كالمجيب عنهم: "من قدام الرب تزلزلت البقاع"[3].

فإن كان المسيح هو الأزلي الخالق، أو كان متحدًا به، فكيف لمْ ترجف بين يديه الجبال؟! ولمْ تتصرف عن مشيئته الأنهار والبحار؟! أو كيف لمْ تظهر منه آيات باهرات، أجلُّ من آيات الأنبياء قبله، مثل: المشي على متون الهواء[4]، والاضطجاع على أكتاف الرياح[5]، والاستغناء عن المآكل والمشارب[6]، وإحراق من قرب منه من الشياطين والجنِّ، كما أحرق إيليا من قرب منه من جند أحاب

حزقيل ١:٢٨ "كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر، هكذا منظر اللمعان من حوله. هذا منظر شبه مجد الرب. ولما رأيته خررت على وجهي، وسمعت صوت متكلم".

[1] مزامير ٦٨:٨ "الأرض ارتعدت. السموات أيضا قطرت أمام وجه الله. سينا نفسه من وجه الله إله إسرائيل".

[2] مزامير ١١٤:٣ "البحر رآه فهرب.الأردن رجع إلى خلف. ٦ وما لكن أيتها الجبال! قد قفزتنّ مثل الكباش، وأيتها التلال مثل حملان الغنم؟!".

[3] ١١٤:٧ "أيتها الأرض تزلزلي من قدام الرب، من قدام إله يعقوب. ٨ المحول الصخرة إلى غدران مياه الصوان إلى ينابيع مياه".

[4] خروج ٢٤:١٨ "ودخل موسى في وسط السحاب، وصعد إلى الجبل".

الملوك الثاني ٢:١ "وكان عند إصعاد الرب إيليا في العاصفة إلى السماء أن إيليا واليشع ذهبا من الجلجال".

[5] أيوب ٣٠:٢٢ "حملتني أركبتني الريح، وذوبتني تشوها".

[6] خروج ٣٤:٢٨ "وكان هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة، لم يأكل خبزا، ولم يشرب ماء".

الملك[1]، ويمنع الآدميين من نفسه، وما فعلوا- على زعمكم- بجسمه؛ ليعلم الناس أنه خالقهم؛ أو أنه هيكل الخالق؟!

نقض عقيدة البنوة

ووجدناكم تقولون: إن الابن إنما يُسمَّى ابنَ الله وكلامَهُ؛ لأنه تولّد من الآب؛ وظهر منه.

فلمْ نقفْ على معنى ذلك؛ لأن شريعة إيمانكم تقول: إن الروح أيضًا تخرجُ من الآب. فإنْ كان الأمر كما تقولون؛ فالروح أيضًا ابن؛ لأنها تخرج عن الله تعالى. وإلا فما الفرق بينهما؟

ولم نفهم أيضًا قولكم: إن الابن تجسَّد من روح القدس، وإن روح القدس ساقه إلى البر ليمتحنه الشيطان!

فما كانت حاجة الابن إلى أن تكون الروح- وهي في قولكم مثله- تُدبِّره وتغيِّره من حال إلى حال؟! أوَما علمتم أن المغيِّر السابق المُدبِّر فاعلٌ، والمسبوق المُدبَّر مفعول به؟!

فالابن إذن دون الروح، وليس مثله؛ لأن الأزلي لا ينفك من الأزلي وهو مثله.

وإن كان المسيح من روح القدس، كما قال جبريل الملك لأمه مريم، فلِمَ سميتموه كلمة الله، وابنه. ولم تسموه روحه؟! فإنما قال لها الملك: "إن الذي تلدين

---

[1] الملوك الثاني ١:١٠ "فأجاب إيليا وقال لرئيس الخمسين: إن كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك. فنزلت نار من السماء، وأكلته هو والخمسين الذين له".

من روح القدس"[1]. والروح غير الابن.

ولو كان المعنى واحدًا، لَمَا قالت الشريعة: إنه تجسد من روح القدس، وإن روح القدس ساقه إلى البر، وإن روح القدس نزل عليه.

ولِمَ تُثلثون به في إيمانكم، فتقولون: نؤمن بالآب، والابن، والروح القدس؟!

نقض مقالة النسطورية

ووجدناكم تقولون- أيتها النسطورية: إن لله علمًا وحكمة، هما الابن. وحياةً هي الروح- قديمين. ولعلمه وحياته ذات كذات الله؛ وذلك أن علم الله، له علم وحياة؛ ولحياته- التي هي روحه- علم وحياة.

وأن الله الآب لَمَّا رأى استيلاء العدو على خلقه، ونكول[2] الأنبياء عن مناوأته[3]، أرسل إليه ابنه الفرد وحبيبه، وجعله فداءً ووفاء للناس أجمعين.

وأن ابنه نزل من السماء، وتجسَّد من روح القدس، وصار إنسانًا. ثم وُلِدَ، ونشأ وعاش ثلاثين سنة، يتقلب بين بني إسرائيل كواحد منهم، يُصلي في كنائسهم، ويستنُّ بسننهم. لا يدعي دينًا غير دينهم، ولا ينتحل[4] رسالة، ولا نبوة، ولا بنوة، حتى إذا انقضت تلك السنون، أظهر الدعوة، وجاء بالآيات الباهرة،

---

[1] لوقا ١:٣٥ "فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحلُّ عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله".

[2] نكول: النِّكْل بمعنى القَيْد الواحد نِكْل، ويُجمع أيضاً على أنكال. وسميت القيود أنكالاً؛ لأنها يُنَكَّل بها أي يُمنع. والناكِلُ الجَبانُ الضعيفُ (لسان العرب ٦٧٧/١١).

[3] ناوأه مُناوأةً عاداه يقال: إذا ناوأْتَ الرجال فاصبر (مختار الصحاح، ص٦٨٨).

[4] يَنْتَحِلُ كذا وكذا: أي يَدينُ به. والنِّحْلَة: الفَريضةُ وقيل: الدِّيانة. ويقال: ما نِحْلَتُكَ؟ أي ما دينُك؟ (تاج العروس ٧٥٤٠/٨).

والبراهين المشهورة. فأنكرته اليهود، وقتلته، وصلبته، ثم صعد إلى السماء[1].

مخالفة النصطورية لقانون الإيمان

وصدَّقتم بشريعة الإيمان، وكفَّرتم من خالفها. ثم لم تلبثوا أن خلعتموها، وانسلختم منها. وقلتم: إن المسيح جوهران وأقنومان. جوهر قديم، وجوهر حديث. ولكل جوهر أقنوم على حياله. وإن الله جوهر قديم يقوم بمعنيين، فهو واحد يقوم بثلاثة معان، وثلاثة لها معنى واحد. كالشمس التي هي شيء واحد، ولها ثلاثة معان: القرص، والحر، والنور. فالمسيح هو الله، وهو مبعوث، غير أنه ليس بعبد.

فكان معنى قولكم هذا: أن المسيح مولود، لكنه ليس مفعولاً به. وهو مبعوث مرسل، لكنكم تستحيون أن تسموه رسولاً؛ إذ كنتم لا تفرقون بين الله وبينه في شيء من الأشياء.

تكفير النصطورية للملكانية واليعقوبية

وأقبلتم على الملكانية، واليعقوبية بالتكفير واللعن؛ لقولهم: إن الله والمسيح شيءٌ واحد. ثم لم تلبثوا أن قدَّمتم المسيح على الله- تبارك وتعالى. وبدأتم به في التمجيد، ورفعتم إليه تهاليلكم ورغائبكم في أوقات القرابين خاصة! وهي أجلُّ صلواتكم، وأفضلُ محافلكم عندكم؛ فإنه يقوم الإمام منكم على المذبح من مذابحكم، وأهله مرعوبون؛ فتتوقعون نزول روح القدس بزعمكم من السماء

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً {١٥٧} بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً {١٥٨}﴾(النساء).

بدعائه، فيفتح دعاءه ويقول: "ليتم علينا وعليكم نعمة يسوع المسيح، ومحبة الله الآب، ومشاركة روح القدس إلى دهر الداهرين".

ثم يختم صلاته بمثل ذلك.

فهذا تصريح بالشرك، وتصغير لعظمة الله وعزته؛ أن جعلتم النعم والمواهب لمن هو دونه- وهو مُعْطًى ومُخَوَّل من عند الله على قولكم.

وجعلتم لله بعد المسيح محبة، ولروحه مشاركة.

ووجدناكم قد عبتم على اليعقوبية قولهم إن مريم ولدت الله -عزَّ الله وجلَّ عن ذلك. وفي شريعة الإيمان التي بيَّناها، المجتمعِ عليها: "أن المسيح إله حق، وأنه وُلدَ من مريم".

فما معنى المنافرة[1]؟! وما الفرق؟!

وما تُنكرون من قولهم: إن المقتول المصلوب هو الله- عزَّ الله وجلَّ عن ذلك، وشريعة إيمانكم تقول: "نؤمن بالرب المسيح... (الذي من خبره وحاله:) الذي وُلدَ من مريم، وتألم، وصُلِب على عهد الملك بيلاطس النبطي، ودُفِنَ، وقام في اليوم الثالث"؟!

أليس هذا إقرارًا بمثل قولهم.

فتدبروا هذا القول يا أولي الألباب.

فإنكم إن قلتم: إن المقتول المصلوب هو الله؛ فإن مريم عندكم ولدت الله.

وإن قلتم: إنه إنسان؛ فإن مريم ولدت إنسانًا، وبطلت الشريعة.

فأي القولين اخترتموه، ففيه نقض دينكم!

---

[1] المُنَافَرَةُ المُفاخرة والمُحاكَمةُ. يُقال: نافَرَه فَنَفَرَه يَنْفُرُه، إذا غَلَبه. ونَفَّره، وأنْفَرَه إذا حكم له بالغَلَبة (النهاية في غريب الأثر ٢٠٢/٥)

مع الأزلي الخالق شيئا واحدًا، لا فرق بينهما.

وقلتم بأن له أقنومين، لكل جوهر أقنوم على حياله.

ثم لم تلبثوا أن رجعتم إلى مثل قولهم، فقلتم: إن المسيح، وإن كان مخلوقا من مريم مبعوثا، فإنه هيكل لابن الله الأزلي، ونحن لا نفرق بينهما.

فإذا كان الأمر عندكم على هذا، فما تنقمون على الملكية؟! وما معنى الافتراق، وقد رجعتم في الاتحاد إلى مثل قولهم؟!

إنَّ هذا الأمر تحار فيه الأفهام!!

فإن كانت الشريعة بمعنى الأمانة عندكم حقا، فالقول ما قال يعقوب. وذلك أنا إذا ابتدأنا من الشريعة في ذكر المسيح، ثم نسَّقنا المعاني نَسَقا واحدًا، وانحدرنا فيها إلى آخرها، وجدنا القوم الذين ألفوها لكم قد صححوا: أن يسوع المسيح هو ابن الله، وهو بكر الخلائق كلها، وهو الذي وُلِدَ من مريم، ليس بمصنوع. وهو إله حق، من إله حق، من جوهر أبيه. وهو الذي أتقن العوالم، وخُلِقَ كلُّ شيءٍ على يده. وهو الذي نزل لخلاصكم، فتجسد وحملته مريم وولدته، وقُتِل وصُلِب.

فمن أنكر قول اليعقوبية، لزمه أن ينكر هذه الشريعة التي تشهد بصحة قولهم، ويلعن من ألفها.

وإنما أخذت تلك الطائفة، يعني الذين وضعوا الأمانة- بكلماتٍ. وذكروا أنهم وجدوها في الإنجيل- مشكَلات، تأولَتْ فيها ما وقع بهواها. وتركَتْ ما في الإنجيل من الكلام البيِّن الواضح، الذي يشهد بعبودية المسيح، وشهادته بذلك على نفسه، وشهادة تلاميذه به عليه. فأخذتْ بالمُشْكَل اليسير، وجعلتْ له ما أحبتْ من التأويل، وألغت الواضح الكثير الذي لا يحتاج إلى تأويل!

فأما احتجاجكم بالشمس، وأنها شيء واحد له ثلاثة معان، وتشبيهكم ما يقولونه في الثلاثة الأقانيم بها.

فإن ذلك تمويه لا يصح؛ لأن نور الشمس لا يُحد بحد الشمس، وكذلك حرها لا يُحَدُّ بحد الشمس؛ إذ كان حد الشمس جسمًا مستديرًا مضيئا مسخنا، دائرًا في وسط الأفلاك دورانًا دائمًا. ولا يتهيأ أن يُحدَّ نورها وحرها بمثل هذه الصفة، ولا يقال: إن نورها أو حرها جسم مستدير مضي، مسخن دائم الدوران، ولو كان نورها وحرها شمسًا حقا، من شمس حق، من جوهر الشمس- كما قالت الشريعة في المسيح: "إنه إله حق، من إله حق، من جوهر أبيه". لكان ما قلتم له مثلا تامًا. والأمر مخالف لذلك، فلا يشبهه. ولا يقع القياس عليه، والحجة منكم فيه باطلة.

هل بطل بصلب المسيح الموت والآثام؟

ووجدناكم تذكرون: أن المسيح نزل من السماء، فأبطل بنزوله الموت والآثام.

فإن العجب ليطول من هذا القول! وأعجب منه مَنْ قَبِلَهُ، ولم يتفكرْ فيه! وممن لم يستقبح أن يعتقد ديانة لله- تبارك وتعالى- على مثل هذا القول المحال، البائن عما تشهد به العقول، وتنبئ به المشاهدة، ويدعو الناس إليها. فما هو ببعيد من عقد ما هو أحل وأبطل منها؛ لأنه إن كانت الخطيئة بطلت بمجيئه، فالذين قتلوه إذًا ليسوا خاطئين، ولا مأثومين؛ لأن لا خاطئ بعد مجيئه، ولا خطيئة.

وكذلك أيضًا الذين قتلوا حواريه، وأحرقوا أسفاره، غير خاطئين. وكذلك من نراه من جماعتكم منذ ذلك الدهر إلى هذا الوقت: يقتل، ويسرق، ويزني، ويلوط، ويسكر، ويكذب، ويركب كلَّ ما نُهِيَ عنه من الكبائر وغيرها- غير خاطئين، ولا مأثومين.

فمن جحد ذلك، فليرجع إلى التسبيحة التي تُقرأ بعقب كل قربان. وهو: "أن يا ربنا- الذي غلب بوجهه الموت الطاغي".

وفي الأخرى التي تُقال في يوم الجمعة الثانية من الفصح: "إن فخرنا بالصليب، الذي بطل به سلطان الموت. وصرنا إلى الأمن والنجاة بسببه".

وفي بعض التسابيح: "بصلوات ربنا يسوع المسيح، بطل الموت، وانطفأت فتن الشيطان، ودرست آثارها".

فأي خطيئة بطلت؟! وأي فتنة للشيطان انطفأت؟! أو أي أمر كان الناس عليه قبل مجيئه- من المحارم والآثام- تغيَّرَ عن حاله؟!

فإذا كان التمويه يقع فيما يلحقه كلُّ أحد بالمعرفة والبيان، فهو فيما أُشكلَ من الأمور، وفُعِلَ بالتأويلات التي تأولها أولئك المتأولون- أوقع.

وإذا كنتم قد قبلتم هذا المحال الظاهر، الذي لا خفاء به عن الصبيان. فأنتم لما هو أعظم منه من المحال أقبل! وهذا إنجيلكم يُكَذب هذا القول، حيث يقول المسيح فيه: "ما أكثر من يقول لي يوم القيامة: يا سيدنا! أليس باسمك أخرجنا الشيطان؟ فأقول: اغربوا عني أيها الفجرة الغاوون. فما عرفتكم قط"[1].

فهذا خلاف قول علمائكم ما قالوا، ووضعهم لكم ما وضعوا. ومثله قوله: "إني جامع الناس يوم القيامة عن ميمنتي وميسرتي. وقائل لأهل الميسرة: إني جعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني. وكنتُ غريبًا فلم تأووني، ومحبوسًا فلم تزوروني، ومريضًا فلم تعودوني. فاذهبوا إلى النار المُعَدَّة لكم من قبل تأسيس الدنيا. وأقول لأهل الميمنة: فعلتم بي هذه الأشياء، فاذهبوا إلى النعيم

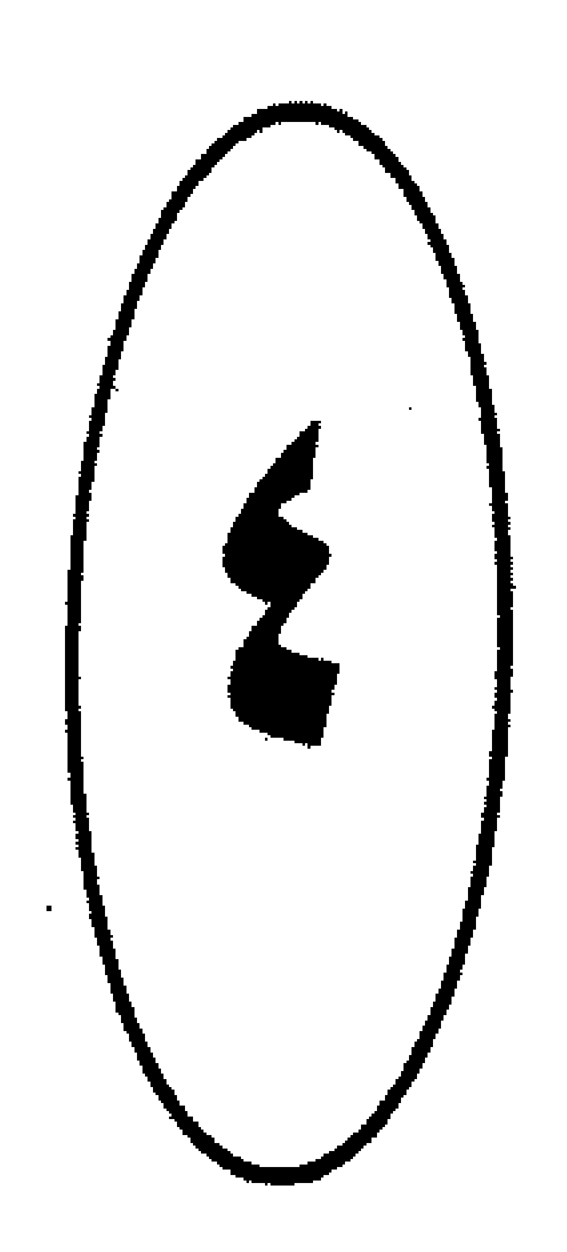
---

[1] متى ٧:٢٢ "كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب! أليس باسمك تنبأنا؟! وباسمك أخرجنا شياطين؟! وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟! ٧:٢٣ فحينئذ أصرّح لهم: إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم".

المُعَدَّ لكم من قبل تأسيس الدنيا"[1].

فهل أدخل أولئك النار إلا خطاياهم التي ركبوها؟! وهل صار هؤلاء إلى النعيم إلا بأعمالهم الجميلة التي قدموها بتوفيق الله إياهم؟! فمن قال: إن الخطيئة قد بطلت، فقد بَهَت، وقد خالف قول المسيح، وكان هو من الكاذبين.

[1] متى ٢٥:٣١ "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ٣٢ ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميّز بعضهم من بعض، كما يميّز الراعي الخراف من الجداء ٣٣ فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ٣٤ ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي! رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. ٣٥ لأني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريبا فآويتموني. ٣٦ عريانا فكسيتموني. مريضا فزرتموني. محبوسًا فأتيتم إليّ. ٣٧ فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب! متى رأيناك جائعا فأطعمناك؟ أو عطشانا فسقيناك؟ ٣٨ ومتى رأيناك غريبا فآويناك؟ أو عريانا فكسوناك؟ ٣٩ ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا إليك؟ ٤٠ فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي، هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم ٤١ ثم يقول أيضا للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته. ٤٢ لأني جعت فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني. ٤٣ كنت غريبا فلم تأووني. عريانا فلم تكسوني. مريضا ومحبوسًا فلم تزوروني.



الدليل من الإنجيل على بطلان ألوهية المسيح

ويا أيها القوم- الذين هم أولوا الألباب والمعرفة، حيث ينسبونه إلى الربوبية، وينحلونه اللاهوتية، ويجعلونه خالق الخلق أجمعين وإلههم. بماذا ساغ ذلك لكم؟! وما الحجة فيه عندكم؟!

هل قالت كتب النبوات فيه ذلك؟! أو هل قاله عن نفسه؟! أو قاله أحد من تلامذته والناقلين عنه، الذين هم عماد دينكم وأساسه، ومن أخذتم الشرائع والسنن عنه؟!

ومَنْ كَتَبَ الإنجيل وبيَّنَهُ، قد أفصح في كل الإنجيل من كلامه ومخاطبته ووصاياه، بما لا يُحصى كثرة، بأنه عبد مثلكم، ومربوب معكم، ومرسل من عند ربه وربكم، ومبدي ما أُمر به فيكم.

وحَكَى مثلَ ذلك مِنْ أمرِه حواريوه وتلامذتُهُ، ووصفوه لمن سأل عنه. وفي كلامهم بأنه رجل جاء من عند الله ﷻ، ونبي له قوة وفضل. فتأولتم في ذلك: أنه أخرج كلامه على معنى الناسوت.

ولو كان كما تقولون؛ لأفصح عن نفسه بأنه إله. كما أفصح بأنه عبد. ولكنه ما ذكره، ولا ادعاه. ولا دعا إليه[1]، ولا ادعته له كتب الأنبياء قبله، ولا كتب

---

[1] يقول الله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ {٢٦} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {٢٧} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى

تلامذته. ولا حُكِيَ عنهم، ولا أوجبه كلام جبريل الذي أدَّاه إلى مريم، ولا قول يحيى بن زكريا.

(الاستدلال الأول): فإن قلتم إنكم استدللتم على ربوبيته بأنه أحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، ومشى على الماء، وصعد إلى السماء، وصيَّر الماءَ خمرًا، وكثَّر القليل.

فيجب الآن: أن يُنظَر إلى كل من فعل من هذه الأمور فعلا، فنجعله ربًا وإلهًا. وإلا فما الفرق؟

فمن ذلك: أن كتاب سفر الملوك يُخبر أن إلياس أحيا ابن الأرملة[1]، وأن اليسعَ أحيا ابن الإسرائيلية[2]، وأن حزقيال أحيا بشرًا كثيرًا[3]. ولم يكن أحد ممن ذكرنا- بإحيائه الموتى- إلهًا.

وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {٢٨} وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {٢٩} (الأنبياء).

[1] الملوك الأول ١٧:٢١ "فتمدد على الولد ثلاث مرات، وصرخ إلى الرب وقال: يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. ٢٢ فسمع الرب لصوت إيليا، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش".

[2] الملوك الثاني ٤:٣٢ "ودخل اليشع البيت وإذا بالصبي ميت، ومضطجع على سريره. ٣٣ فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما، وصلّى إلى الرب. ٣٤ ثم صعد، واضطجع فوق الصبي، ووضع فمه على فمه، وعينيه على عينيه، ويديه على يديه، وتمدّد عليه فسخن جسد الولد. ٣٥ ثم عاد وتمشى في البيت تارة إلى هنا، وتارة إلى هناك، وصعد وتمدّد عليه، فعطس الصبي سبع مرّات، ثم فتح الصبي عينيه".

[3] حزقيل ٣٧:٧ "فتنبأتُ كما أُمرتُ، وبينما أنا أتنبأ كان صوت، وإذا رعش، فتقاربت العظام كلُّ عظم إلى عظمه. ٨ ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها، وبسط الجلد عليها من فوق، وليس فيها روح. ٩ فقال لي تنبأ للروح، تنبأ يا ابن آدم، وقل للروح: هكذا قال السيد الرب، هلم يا روح من الرياح الأربع، وهبَّ على هؤلاء القتلى ليحيوا. ١٠ فتنبأت كما أمرني، فدخل فيهم الروح، فحيوا وقاموا على أقدامهم، جيش عظيم جدا جدا".

وأما إبراء الأكمه[1]، فهذه التوراة تُخبر: أن يوسف أبرأ عين أبيه يعقوب بعد أن ذهبت[2].

وهذا موسى طرح العصا فصارت حيَّة، لها عينان تبصر بهما[3]. وضرب بها الرمل فصار قملا، لكل واحدة منها عينان تبصر بهما[4]. ولم يكن واحد منهم بذلك إلهًا.

وأما إبراء الأبرص، فإن كتاب سفر الملوك يُخبر بأن رجلا من عظماء الروم برص، فرحلَ من بلده قاصدًا اليسعَ ﷺ ليبرئه من برصه.

فأخبر الكتابُ بأن الرجل وقف بباب اليسع أيامًا لا يؤذن له. فقيل لليسع: إن ببابك رجلا، يقال له نعمان. وهو أجلُّ عظماء الروم، به برص. وقد قصَدَك لتبرئه من مرضه. فإن أذنت له دخل إليك. فلم يأذن له. وقال لرجل من أصحابه: اخرج إلى هذا الرجل. فقل له يـنغمس في الأردن سبع مرات. فأبلغ الرسول لنعمان ما أمره به اليسع. ففعل ذلك، فذهب عنه البرص، ورجع قافلا إلى بلده، فأتبعه خادم اليسع، فأوهمه أن اليسع وجَّه به إليه؛ يطلب منه مالا. فَسُرَّ الرجل بذلك، ودفع إلى الخادم مالا وجوهرًا. ورجع فأخفى ذلك وستره. ثم دخل إلى اليسع، فلمَّا مثل بين يديه قال له: تبعتَ نعمان، وأوهمته عني كذا وكذا، وأخذت منه كذا، وأخفيته في موضع كذا. إذ فعلتَ الذي فعلتَ به؛ فليصر

[1] الأكمه: الأكْمَهُ الذي يولد أعمى. وقد كَمِهَ من باب طرب (مختار الصحاح، ص٥٨٦).

[2] تكوين ٤:٤٦ "أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك أيضا. ويضع يوسف يده على عينيك".

[3] خروج ٣:٤ "فقال اطرحها إلى الأرض. فطرحها إلى الأرض. فصارت حية.فهرب موسى منها".

[4] خروج ١٦:٨ "ثم قال الرب لموسى، قل لهرون: مدّ عصاك واضرب تراب الأرض؛ ليصير بعوضا في جميع أرض مصر. ١٧ ففعلا كذلك. مدّ هرون يده بعصاه، وضرب تراب الأرض، فصار البعوض على الناس وعلى البهائم. كل تراب الأرض صار بعوضا في جميع أرض مصر".

برصه عليك وعلى نسلك. فبرص ذلك الخادم على المكان[1].

فهذا اليسع قد أبرأ أبرصَ، وأبرص صحيحًا. وهو أعظم مما فعل المسيح ﷺ. فلم يكن في فعله ذلك إلهًا.

وأما قولكم: إنه مشى على الماء. فإن كتاب سفر الملوك يُخْبِر بأن إلياس ﷺ صار إلى الأردن، ومعه اليسع تلميذه، فأخذ عمامته فضرب بها الأردن، فاستبيس له الماء حتى مشى عليه هو واليسع. ثم صعد إلى السماء على فرس من نور، واليسع يراه. ودفع عمامته إلى اليسع، فلما رجع اليسع إلى الأردن، ضرب بها الماء؛ فاستبيس له حتى مشى عليه راجعًا[2].

ولم يكن واحد منهما بمشيه على الماء إلهًا. ولا كان إلياس بصعوده إلى السماء إلهًا.

وأما قولكم: إنه صيَّر الماء خمرًا. فهذا كتاب سفر الملوك يُخبر بأن اليسع نزل بامرأة إسرائيلية، فأضافته، وأحسنت إليه. فلما أراد الانصراف قال لها: هل لك من حاجة؟ فقالت المرأة: يا نبي الله إنَّ على زوجي دينًا قد فدحه. فإن رأيت أن تدعو الله لنا بقضاء ديننا فافعل. فقال لها اليسع: اجمعي كل ما عندك من الآنية، واستعيري من جيرانك جميع ما قدرت عليه من آنيتهم. ففعلتْ، ثم أمرها فملأت الآنية كلها ماءً. فقال: اتركيه ليلتك هذه. ومضى من عندها، فأصبحت المرأة وقد صار ذلك الماء كله زيتا. فباعوه فقضوا دينهم[3].

---

[1] الملوك الثاني ١:٥-٢٧:٥.

[2] الملوك الثاني ٨:٢ "وأخذ إيليا رداءه ولفه، وضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك فعبرا كلاهما في اليبس. ١١ وفيما هما يسيران ويتكلمان، إذا مركبة من نار، وخيل من نار، ففصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء. ١٤ فأخذ رداء إيليا الذي سقط عنه، وضرب الماء وقال: أين هو الرب إله إيليا؟ ثم ضرب الماء أيضا، فانفلق إلى هنا وهناك فعبر اليشع".

[3] الملوك الثاني ٢:٤ فقال لها اليشع: ماذا أصنع لك؟ أخبريني: ماذا لك في البيت؟ فقالت: ليس لجاريتك شيء في البيت إلا دهنة زيت. ٣ فقال اذهبي استعيري لنفسك أوعية من خارج، من عند

وتحويل الماء زيتاً، أبدع من تحويله خمراً. ولم يكن اليسع بذلك إلهاً.

وأما قولكم: المسيح ﷺ كثَّر القليل، حتى أكل خلق كثير من أرغفة يسيرة. فإن كتاب سفر الملوك يُخبر بأن إلياس نزل بامرأة أرملة. وكان القحط قد عمَّ الناس. وأجدبت البلاد، ومات الخلق ضراً وهزالا. وكان الناس في ضيق، فقال للأرملة: هل عندك طعام؟ فقالت: والله ما عندي إلا كفٌ مِنْ دقيق في قلة، أردت أن أخبزه لطفل لي. وقد أيقنا بالهلاك لما الناس فيه من القحط. فقال لها أحضريه فلا عليك! فأتته به، فبارك عليه، فمكث عندها ثلاث سنين وستة أشهر، تأكل هي وأهلها وجيرانها منه، حتى فرج الله عن الناس[1].

فقد فعل إلياسُ في ذلك أكثر مما فعل المسيح؛ لأن إلياس كثر القليل وأدامه، والمسيح كثر القليل في وقت واحد. ولم يكن إلياس بفعله هذا إلهاً.

(الاستدلال الثاني): فإن قلتم: إن هؤلاء الأنبياء ليس لهم صنع في هذه الأفعال، وإن الصنع فيها والقدرة لله ﷻ؛ إذ كان هو الذي أجراها على أيديهم. فقد

جميع جيرانك أوعية فارغة. لا تقللي ٤ ثم ادخلي وأغلقي الباب على نفسك وعلى بنيك وصبّي في جميع هذه الأوعية، وما امتلأ انقليه ٥ فذهبت من عنده وأغلقت الباب على نفسها وعلى بنيها. فكانوا هم يُقدمون لها الأوعية وهي تصب. ٦ ولما امتلأت الأوعية قالت لابنها: قدم لي أيضا وعاء. فقال لها: لا يوجد بعد وعاء. فوقف الزيت. ٧ فأتت وأخبرت رجل الله فقال: اذهبي بيعي الزيت وأوفي دينك وعيشي أنت وبنوك بما بقي"

[1] الملوك الأول ١٧:١٢ "فقالت حيٌّ هو الرب إلهك إنه ليست عندي كعكة ولكن ملء كف من الدقيق في الكوار وقليل من الزيت في الكوز، وهأنذا أقش عودين؛ لآتي وأعمله لي ولابني؛ لنأكله ثم نموت.١٣ فقال لها إيليا: لا تخافي. ادخلي واعملي كقولك ولكن اعملي لي منها كعكة صغيرة أولا، واخرجي بها إليَّ، ثم اعملي لك ولابنك أخيرا. ١٤ لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل: إن كوار الدقيق لا يفرغ، وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي فيه يعطي الرب مطرا على وجه الأرض. ١٥ فذهبت وفعلت حسب قول إيليا وأكلت هي وهو وبيتها أياما ١٦ كوار الدقيق لم يفرغ وكوز الزيت لم ينقص حسب قول الرب الذي تكلم به عن يد إيليا".

صدقتم.

ونقول لكم أيضًا: كذلك المسيح ليس له صنع فيما ظهر على يديه من هذه الأعاجيب؛ إذ كان الله هو الذي أظهرها على يديه. فما الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء؟ وما الحجة في ذلك؟

(الاستدلال الثالث): وإن قلتم: إن الأنبياء كانت إذا أرادت أن يُظهر الله على أيديهم آية، تضرعت إلى الله ودعته، وأقرت له بالربوبية، وشهدت على أنفسها بالعبودية.

قيل لكم: وكذلك سبيل المسيح، سبيل سائر الأنبياء. قد كان يدعو ويتضرع، ويعترف بربوبية الله، ويقر له بالعبودية. فمن ذلك: أن الإنجيل يخبر بأن المسيح أراد أن يُحيي رجلا يقال له لعازر[1]، فقال: "يا أبي! أدعوك كما كنت أدعوك من قبل، فتجيبني، وتستجيب لي. وأنا أدعوك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا"[2].

وقال بزعمكم وهو على الخشبة: "إلهي! إلهي! لِمَ تركتني؟"[3].

وقال: "يا أبي! اغفرْ لليهود ما يعملون؛ فإنهم لا يدرون ما يصنعون"[4].

وقال في إنجيل متى: "يا أبي! أحمدك"[5].

---

[1] في الأصل: العازر. وما أثبت هو نص الإنجيل.

[2] يوحنا ١١:٤٢ "وأنا علمت انك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت. ليؤمنوا انك أرسلتني ٤٣ ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجًا. ٤٤ فخرج الميت، ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة، ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع: حلّوه، ودعوه يذهب".

[3] متى ٢٧:٤٦ "ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلي. إيلي! لما شبقتني؟ أي إلهي إلهي! لماذا تركتني؟".

[4] لوقا ٢٣:٣٤ "فقال يسوع: يا أبتاه اغفر لهم؛ لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

[5] متى ١١:٢٥ "في ذلك الوقت، أجاب يسوع وقال: أحمدك أيها الآب، رب السماء والأرض!".

وقال: "يا أبي! إن كان بُدٌّ أن يتعداني هذا الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا، فلتكن مشيئتك"[1].

وقال أيضًا: "أنا أذهب إلى إلهي، الذي هو أعظم مني"[2].

وقال: "لا أستطيع أن أصنع شيئا، ولا أتفكر فيه إلا باسم إلهي"[3].

وقال- يعني نفسه: لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من سيده، ولا للرسول أن يكون أعظم ممن أرسله"[4].

وقال: "إن الله لم يلد، ولم يولد، ولم يأكل، ولم يشرب، ولم ينم، ولم يره أحد من خلقه. ولا يراه أحد إلا مات"[5].

والمسيح قد أكل، وشرب، ووُلد. ورآه الناس فما ماتوا من رؤيته، ولا مات أحد منهم، وقد لبث فيهم ثلاثا وثلاثين سنة[6].

وقال في إنجيل يوحنا: "إنكم متى رفعتم ابن البشر، فحينئذ تعلمون أني أنا

---

[1] متى ٢٦:٣٩ "ثم تقدم قليلا، وخرَّ على وجهه وكان يُصلّي قائلا: يا أبتاه إن أمكن، فلتعبر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت".

[2] يوحنا ١٤:٢٨ لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون؛ لأني قلت: أمضي إلى الآب. لأن أبي أعظم مني".

[3] يوحنا ٥:٣٠ "أنا لا اقدر أن أفعل من نفسي شيئا. كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني".

[4] يوحنا ١٣:١٦ الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله".

[5] يوحنا ١:١٨ "الله لم يره أحد قط.

[6] علق ابن تيمية هنا قائلا: "قلت: وعامة ما ذكره هنا عن الكتب، تعترف به النصارى. ولكن بعضهم ينازعه في يسير من الألفاظ فنازعه هنا في قوله: "لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من سيده". وقال: هذا إنما قاله المسيح للحواريين. وذكر أنه لا يُعرف عنه لفظ: لم يولد ولم يأكل، ولم يشرب".

هو، وشيءٌ مِنْ قِبَل نفسي لا أفعل، ولكن كل شيء كالذي علمني أبي"[1].

وقال في موضع آخر: "من عند الله أُرسلتُ معلمًا"[2].

وقال لأصحابه: "اخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبي لا يُجَلّ في مدينته"[3].

وأخبر الإنجيل أن امرأة رأت المسيح فقالت: "إنك لذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه. فقال لها المسيح: صدقتِ، طوبى لكِ"[4].

وقال لتلامذته: "كما بعثني أبي، كذلك أبعثُ بكم"[5].

فاعترف بأنه نبي، وأنه مألوه، ومربوب، ومبعوث.

وقال لتلامذته: "إن مَنْ قَبِلَكُمْ وآواكم، فقد قبلني. ومن قبلني، فإنما يَقبل مَنْ أرسلني. ومَنْ قبل نبيًا باسم نبي، فإنما يفوز بأجر من قِبَل النبي"[6].

فبيَّن ها هنا في غير موضع: أنه نبي مرسل، وأن سبيله مع الله سبيلهم معه.

وقال متَّى التلميذ في إنجيله، يستشهد على المسيح بنبوة أشعيا عن الله ﷻ: "هذا عبدي الذي اصطفيته، وحبيبي الذي ارتاحت إليه نفسي. أنا واضع روحي عليه، ويدعو الأمم إلى الحق"[7].

فلن يحتاج إلى حجة أوضح من هذا القول الذي جعلتموه حجة لكم. فقد

---

[1] يوحنا ٨:٢٨ "فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أني أنا هو، ولست افعل شيئا من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علّمني أبي".

[2] يوحنا ٧:١٦ "أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني".

[3] مرقس ٦:٤ "فقال لهم يسوع: ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه، وبين أقربائه، وفي بيته".

[4] يوحنا ٤:١٩ قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبي".

[5] يوحنا ٢٠:٢١ "فقال لهم يسوع أيضا: سلام لكم. كما أرسلني الأب أرسلكم أنا".

[6] متى ١٠:٤٠ "من يَقبلكم يقبلني، ومن يَقبلني يَقبل الذي أرسلني ١٠:٤١ من يَقبل نبيًا باسم نبي؛ فأجر نبي يأخذ. ومَن يقبل بارًا باسم بار، فأجر بارٍ يأخذ".

[7] متى ١٢:١٨ "هو ذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سرّت به نفسي. أضع روحي عليه، فيخبر الأمم بالحق".

أوضح الله أمره، وسمَّاه عبدًا، وأعلمَ أنه يضع عليه روحه، ويؤيده بها كما أيَّد سائر الأنبياء بالروح، فأظهروا الآيات المذكورة عنهم.

وهذا القول يوافق ما بشَّرَ به جبريل الملك مريم، حين ظهر لها، وقال القول الذي سقناه في صدر كتابنا[1].

وقال يوحنا التلميذ في الإنجيل، عن المسيح ﷺ: "إن كلامي الذي تسمعون هو كلام من أرسلني"[2].

وقال في موضع آخر: "إن أبي أجلُّ وأعظمُ منّي"[3].

وقال أيضًا: "كما أمرني أبي، كذلك أفعل أنا. أنا الكرم، وأبي هو الفلاح"[4].

وقال يوحنا: "كما للآب حياة في جوهره، فكذلك أعطى الابن: أن تكون له حياة في قينومه"[5].

فالمعطِي خلاف المعطَى لا محالة، والفاعل خلاف المفعول.

وقال المسيح في إنجيل يوحنا: "إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي على صحة دعواي، لكانت شهادتي باطلة. لكنَّ غيري يشهد لي. فأنا أشهد لنفسي، ويشهد

---

[1] لوقا ١:٣٠ "فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم؛ لأنك قد وجدت نعمة عند الله. ٣١ وها أنت ستحبلين، وتلدين ابنا، وتسمينه يسوع. ٣٢ هذا يكون عظيمًا وابن العلي يُدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ٣٣ ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية".

[2] يوحنا ١٤:٢٤ "والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني".

[3] يوحنا ١٤:٢٨ "أبي أعظم مني".

[4] يوحنا ١٤:٣١ "ولكن ليفهم العالم أني أحب الآب، وكما أوصاني الآب، هكذا أفعل. قوموا ننطلق من ههنا ١٥:١ أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرّام".

[5] يوحنا ٥:٢٦ "لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضا: أن تكون له حياة في ذاته".

لي أبي الذي أرسلني"[1].

وقال المسيح لبني إسرائيل: "تريدون قتلي، وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله"[2].

وقال في الرجل الذي أقامه من الموتى: "يا أبي! أشكرك على استجابتك دعائي، وأعترف لك بذلك. وأعلم أنك كل وقت تجيب دعوتي. لكنْ أسألك من أجل هذه الجماعة؛ ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني"[3].

قال: فأي تضرع، وإقرارٌ بالرسالة، والمسألة والطلب للإجابة من الله ﷻ أشد من هذا أو أكثر؟!

وقال في بعض مخاطبته لليهود، وقد نسبوه إلى الجنون: "أنا لست بمجنون، ولكن أكرم أبي. ولا أحب مدح نفسي، بل مدح أبي؛ لأنني أعرفه. ولو قلت: إني لا أعرفه لكنت كذابًا مثلكم. بل أعرفه، وأتمسك بأمره"[4].

---

[1] يوحنا ٥:٣١ "إن كنت أشهد لنفسي، فشهادتي ليست حقا. ٣٢ الذي يشهد لي هو آخر، وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق... ٣٦ وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا. لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكمّلها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي: أن الآب قد أرسلني ٣٧ والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته".

[2] يوحنا ١٦:٧ "أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني ١٧ إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم: هل هو من الله، أم أتكلم أنا من نفسي؟ ١٨ من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه. وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق، وليس فيه ظلم. ١٩ أليس موسى قد أعطاكم الناموس، وليس أحد منكم يعمل الناموس؟ لماذا تطلبون أن تقتلوني؟".

[3] يوحنا ١١:٤١ "فرفعوا الحجر، حيث كان الميت موضوعًا، ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الآب! أشكرك؛ لأنك سمعت لي. ١١:٤٢ وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت. ليؤمنوا أنك أرسلتني".

[4] يوحنا ٨:٤٩ "أجاب يسوع: أنا ليس بي شيطان، لكني أكرم أبي، وأنتم تهينونني ٥٠ أنا لست أطلب مجدي. يوجد من يطلب ويدين. ٥١ الحق الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامي... ٥٤

وقال داود في مزموره المائة وعشرة: "قال الرب (لربي): اجلس عن يميني؛ حتى أضع أعداءك موطئًا لرجليك. عصا العظمة تبعث الرب من صهيون، ويبسط على أعدائك. شعبك يا مسيح يوم الرعب في بهاء القدس. من اليوم الذي ولدتك يا صبي عهد الرب، ولا يكذب أنك أنت الكاهن المؤيد يشبه ملكيز داق"[1][2].

فهذه مخاطبة ينسبونها إلى اللاهوت. وقد أبان داود في مخاطبته: أن لربه الذي ذكره ربًا، هو أعظم منه وأعلى. أعطاه ما حكيناه، ومنحه ذلك. وشهد عليه: أن عصا العظمة تبعث ربه هذا من صهيون. وسماه صبيًا محققًا لقوله الأول: "اليوم ولدتك". ونسقًا على أول كلامه: "وهو ربه". ووصف أنه الكاهن المؤيد، الذي يشبه ملكليز داق[3].

فأما قوله: "من البدء ولدتك". فهو يشبه قول داود النبي[4] على نفسه: "من

أجاب يسوع: إن كنت أمجد نفسي، فليس مجدي شيئًا أبي هو الذي يمجدني الذي تقولون أنتم: إنه إلهكم ٨:٥٥ ولستم تعرفونه. وأما أنا فأعرفه. وإن قلت: إني لست أعرفه أكون مثلكم كاذبًا. لكني أعرفه، وأحفظ قوله".

[1] ملكي صادق: اسم سامي، معناه "ملك البر"، وهو ملك أورشليم، ويُعتقد أنه كان مؤمنًا في شعب وثني وكان معاصرًا لإبراهيم (انظر: سفر التكوين ١٨-٢٠/١٤. والرسالة العبرانية ٧/٣. وقاموس الكتاب المقدس، ص٩٢٢).

[2] مزامير ١:١١٠ "لداود مزمور. قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك ٢ يرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلط في وسط أعدائك. ٣ شعبك منتدب في يوم قوتك في زينة مقدسة من رحم الفجر لك طل حداثتك ٤ أقسم الرب، ولن يندم: أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق".

[3] قال ابن تيمية هنا معلقًا: "قلت: قالوا: وهذا الكاهن هو الذي ذكر في التوراة أن الخليل أعطاه القربان. وإذا كان المسيح مشبها به، مع تسميته كاهنًا. كان ذلك من أعظم الأدلة على أنه مخلوق".

[4] في الأصل: " تبنني". والواضح أنها تصحيف.

البدء ذكرتك، وهديتُ كلَّ أعمالك"[1].

وبعضهم يقول لفظ النص: "إن الرب يبعث عصاه من صهيون"[2].

وقال شمعون الصفا، رئيس الحواريين، في الفصل الثاني من قصصهم: "يا رجال بني إسرائيل! اسمعوا مقالتي: إن يسوع الناصري رجل، ظهر[3] لكم من عند الله بالقوة والأيدي والعجائب التي أجراها على يديه. وإنكم أسلمتموه، وقتلتموه، فأقام الله يسوع هذا من بين الأموات"[4].

قال: فأي شهادة أبْيَنَ وأوضحَ من هذا القول؟! وهو أوثق التلاميذ عندكم، يخبر- كما ترون: أن المسيح رجل، وأنه من عند الله، وأن الآيات التي ظهرت منه بأمر الله أجراها على يديه، وأن الذي بعثه من بين الموتى هو الله ﷻ.

وقال في هذا الموضع: "اعلموا أن الله جعل يسوع الذي قتلتموه ربًا ومسيحًا"[5].

فهذا القول يزيل تأويل من لعله يتأول في الفصل الأول: أنه أراد بقوله الناسوت؛ لأنه يقول: إن الله جعله ربًا ومسيحًا. والمجعول مخلوق مفعول.

---

[1] مزامير ١٤٣:٥ "تذكرت أيام القدم لهجت بكل أعمالك بصنائع يديك أتأمل".

[2] هذا الموافق للترجمة الحديثة كما أوردناها.

[3] في الأصل: " ظهير". والظاهر أنه تصحيف.

[4] أعمال الرسل ٢:٢٢ "أيها الرجال الإسرائيليون! اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل، قد تبرهن لكم من قِبَل الله بقوات وعجائب وآيات، صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضا تعلمون. ٢٣ هذا أخذتموه مسلّما بمشورة الله المحتومة، وعلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه. ٢٤ الذي أقامه الله ناقضا أوجاع الموت؛ إذ لم يكن ممكنا أن يمسك منه".

[5] أعمال الرسل ٢:٣٦ "فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل: أن الله جعل يسوع هذا- الذي صلبتموه أنتم- ربا ومسيحا".

قال أبو نصر: وإنما سمي ناصري؛ لأن أمه كانت من قرية يقال لها ناصرة[1] في الأردن. وبها سميت النصرانية.

وقد سمى الله- جلَّ ثناؤه- يوسفَ ربًا. قال داود في مزمور مئة وخمسة: "وللعبودية بِيْعَ يوسف. وشدوا بالكبول رجليه. وبالحديد دخلت نفسه، حتى صدقت كلمته قول الرب: جربه. بعث الملك فخلاه، وصيَّره مسلطا على شعبه وربًا على بنيه، ومسلطا على فتيانه"[2].

وقال لوقا في آخر إنجيله: "إن المسيح عَرَضَ له وللوقا تلميذه- جبريلُ في الطريق وهما محزونان، فقال لهما وهما لا يعرفانه: ما بالكما محزونين. فقالا: كأنك أنت وحدك، غريب ببيت المقدس. إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها في هذه الأيام من أمر يسوع الناصري! فإنه رجلا نبيًا قويًا في قوله وفعله عند الله وعند الأمة، أخذوه وقتلوه"[3]. على قولهم فيه.

---

[1] ناصرة: الناصرة فاعلة من النصر، قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا، فيها كان مولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ومنها اشتق اسم النصارى. وأهل بيت المقدس يأبون ذلك ويزعمون أن المسيح إنما ولد في بيت لحم، وأن آثار ذلك عندهم ظاهرة، وإنما انتقلت به أمه إلى هذه القرية. قال عبيد الله الفقير إليه: فأما نص الإنجيل، فإن فيه أن عيسى عليه السلام ولد في بيت لحم، وخاف عليه يوسف زوج مريم من دهاء هارودس ملك المجوس، فرأى في منامه: أن احمله إلى مصر حتى آمرك برده؛ ليكمل ما قال الرب على لسان النبي القائل: "إني دعوت ابني من مصر". فأقام بمصر إلى أن مات هارودس، فرأى في المنام أن يؤمر برده إلى بلاد بني إسرائيل، فقدم به القدس؛ فخاف عليه من القائم مقام هارودس، فرأى في المنام: أن انطلق به إلى الخليل، فأتاها فسكن مدينة تدعى ناصرة. وذكر في الإنجيل يسوع الناصري كثيرا(معجم البلدان ٢٥١/٥).

[2] مزامير ١٠٥:١٧ "أرسل أمامهم رجلا. بيع يوسف عبدا. ١٨ آذوا بالقيد رجليه في الحديد دخلت نفسه. ١٩ إلى وقت مجيء كلمته. قول الرب امتحنه. ٢٠ أرسل الملك فحلّه. أرسل سلطان الشعب فأطلقه. ٢١ أقامه سيدا على بيته ومسلطا على كل ملكه".

[3] لوقا١٣: ٢٤ "وإذا اثنان منهم كانا منطلقين في ذلك اليوم، إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة، اسمها عمواس. ١٤ وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث. ١٥ وفيما هما

فهذا قوله وأقوال تلاميذه قد تركتموها، وعقدتم على بدع ابتدعها لكم أولوكم، تؤدي إلى الضلالة والشرك بالله- جل ثناؤه.

وقال داود في المزمور الثامن[1] في زبوره، مخاطبًا لله ومثنيًا على المسيح: "مَنْ الرجل الذي ذكرته، والإنسان الذي أمرته، وجعلته دون الملائكة قليلا، وألبسته المجد والكرامات؟"[2].

وقال في المزمور الثاني: "قال لي الربُّ: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك. سلني فأعطيك"[3].

فقوله: "ولدتك"- دليل على أنه حديث غير قديم. وكل حادث فهو مخلوق. ثم أكد ذلك بقوله: "اليوم". فَحَدَّ باليوم حدًّا لولادته، أزال به الشك في أنه ما كان قبل اليوم.

ودلَّ بقوله: "سَلْني فأعطيك"، على أنه محتاج إلى المسألة، غير مستغنٍ عن العطية.

يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما. ١٦ ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته. ١٧ فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين. ١٨ فأجاب أحدهما- الذي اسمه كليوباس- وقال له: هل أنت متغرب وحدك في أورشليم، ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام؟ ١٩ فقال لهما: وما هي؟ فقالا: المختصة بيسوع الناصري، الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب. ٢٤:٢٠ كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه؟!".

[1] في الأصل: "الثاني". والصحيح ما أثبتناه.

[2] مزامير ٨:٤ "فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده. ٨:٥ وتنقصه قليلا عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلله؟!".

[3] مزامير ٢:٧ "إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك. ٨ اسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصي الأرض ملكا لك".

فهذا ما حضرنا من الآيات في تصحيح خلق المسيح وعبوديته، وبطلان ما يدعونه من ربوبيته. ومثله كثير في الإنجيل لا يُحصى.

فإذا كانت الشهادات منه على نفسه، ومن الأنبياء عليه، ومن تلاميذه بمثل ما قد بيَّناه في هذا الكتاب. وإنما اقتصرنا على الاحتجاج عليكم من كتبكم. فما الحجة فيما تدعونه له؟ ومن أي جهة أخذتم ذلك، واخترتم الكلام الشنيع- الذي يخرج عن المعقول، وتنكره النفوس، وتنفر منه القلوب. الذي لا يصح بحجة، ولا قياس، ولا تأويل- على القول الجميل الذي تشهد به العقول، وتسكن إليه النفوس، ويشاكل عظمة الله وجلاله؟!

وإذا تأملتم كلَّ ما بيَّناه، تأمُّلَ إنصاف من أنفسكم، وإشفاق عليها. علمتم: أنه قول لا يحتمل أن يُتأول فيه للناسوت شيء دون اللاهوت.

[شبهات وردها]

(الشبهة الأولى): فإن قلتم: إنه يثبت للمسيح البنوة بقوله: "أبي وأبيكم". و"يا أبي". و"بعثني أبي".

قلنا: فإن كان الإنجيل أنزل على هذه الألفاظ- لم تُبدل، ولم تُغير- فإن اللغة قد أجازت أن يُسمَّى الولي ابنًا. وقد سماكم الله جميعًا بنيه، وأنتم لستم في مثل حاله.

ومن ذلك أن الله ﷻ قال لإسرائيل في التوراة: "أنت ابني بكري"[1].

وقال لداود في الزبور: "أنت ابني وحبيبي"[2].

وقال المسيح في الإنجيل للحواريين: "أريد أن أذهب إلى أبي وأبيكم، وإلهي

---

[1] خروج ٤:٢٢ "فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر".

[2] مزامير ٢:٧ "إني أخبر من جهة قضاء الرب. قل لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك".

وإلهكم"[1].

فسمى الحواريين أبناء الله. وأقرَّ بأن له إلهًا هو الله. ومن كان له إله، فليس بإله كما تقولون.

(الشبهة الثانية): فإن زعمتم أن المسيح إنما استحق الإلهية بأن الله سماه ابنًا، فنلتزم ذلك، ونشهد بالإلهية لكل من سمَّاه ابنًا. وإلا فما الفرق؟

فإن قلتم: إن إسرائيل وداود ونظراءهم، إنما سُمُّوا أبناء الله على جهة الرحمة من الله لهم، والمسيح ابن الله على الحقيقة. تعالى الله عن ذلك.

قلنا: يجوز لمعارض أن يعارضكم، فيقول لكم: ما تنكرون أن يكون إسرائيل وداود ابني الله على الحقيقة، والمسيح ابن رحمة؟! وما الفرق؟

(الشبهة الثالثة): فإن قلتم: إن الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء من قِبَل أن المسيح جاء إلى مُقعَدٍ، فقال: "قم، قم، فقد غفرتُ لك!"[2]. فقام الرجل. ولم يَدْعُ الله في ذلك الوقت.

قلنا لكم: هذا إلياس أمر السماء أن تمطر فأمطرت، ولم يدع الله في ذلك الوقت[3]. وكذلك اليسع أمر نعمان الرومي أن ينغمس في الأردن، من غير دعاء، ولا تضرع[4]. على أنا قد وجدناه في الإنجيل قد تضرع، وسأل مسائل قد تقدم ذكرها[5].

---

[1] يوحنا ٢٠:١٧ "قال لها يسوع: لا تلمسيني؛ لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي، وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم".

[2] لوقا ٥:٢٤ "ولكن لكي تعلموا: أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض، أن يغفر الخطايا، قال للمفلوج: لك أقول قم، واحمل فراشك واذهب إلى بيتك.

[3] الملوك الأول ٤١-١٨/٤٥.

[4] الملوك الثاني الإصحاح الخامس.

[5] متى ٢٧:٤٦ "ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلي، إيلي! لِما شبقتني؟ أي إلهي إلهي! لماذا تركتني؟".

وقال في بعض الإنجيل: "يا أبي أشكرك على استجابتك دعائي. وأعلم أنك في كل وقت تجيب دعوتي. لكن أسألك من أجل هذه الجماعة؛ ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني"[1].

(الشبهة الرابعة): فإن قلتم: إن الغفران من الله ﷻ، وإن المسيح قال لبعض بني إسرائيل: "قم. فقد غفرتُ لك"[2]. والله هو الذي يغفر الذنوب.

قلنا: فقد قال الله في السفر الخامس من التوراة لموسى: "أخرجْ أنت وشعبك الذي أخرجتُ من مصر، وأنا أجعل معكم ملكاً يغفر ذنوبكم"[3].

فإن زعمتم: أن المسيح إله؛ لأنه غفر ذنوب المُقعد، فالملك إذًا إله؛ لأنه يغفر ذنوب بني إسرائيل. وإلا فما الفرق؟

(الشبهة الخامسة): فإن قلتم: إن الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء من قِبَل أن الله سماه ربًا، فقال: "ابن البشر، رب السبت"[4].

متى ٣٦:٤٢ "فمضى أيضا ثانية وصلّى قائلا: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك".

لوقا ٣٤:٢٣ "فقال يسوع: يا أبتاه اغفر لهم؛ لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

[1] يوحنا ٤١:١١ "فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي ٤٢ وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت. ليؤمنوا أنك أرسلتني".

[2] متى ٢:٩ "وإذا مفلوج يقدمونه إليه مطروحا على فراش. فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: ثق يا بني؛ مغفورة لك خطاياك".

[3] تثنية ١٤:١٧ "متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك، وامتلكتها وسكنت فيها فإن قلت: اجعل عليّ ملكا كجميع الأمم الذين حولي ١٥ فإنك تجعل عليك ملكا، الذي يختاره الرب إلهك. من وسط إخوتك تجعل عليك ملكا. لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ليس هو أخاك".

[4] لوقا ٥:٦ "وقال لهم: إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضا".

قلنا: فهذه التوراة تخبر بأن لوطا ﷺ لما رأى الملكين قد أقبلا من البرية هلاك قومه، قال لهما: "يا ربي! ميلا إلى منزل عبدكما"[1].

وقد تقدم لنا احتجاج في هذا الكتاب، بذكر من سُمي في الكتب ربًا، من يوسف وغيره. فإن كان المسيح إلهًا؛ لأنه سُمي ربًا، فهؤلاء إذًا آلهة؛ لأنهم سُموا بمثل ذلك.

(الشبهة السادسة): فإن قلتم: إن الأنبياء قد تنبأت بإلهية المسيح، فقال أشعيا: "العذراء تحبل، وتلد ابنا، ويُدعى اسمه عمانويل. وتفسيره: معنا إلهنا"[2].

قلنا: إن هذا اسم يُعارُهُ السيد الشريف من الناس، وإن كان الله ﷻ المنفرد بمعنى الإلهية- جل ثناؤه. فقد قال الله في التوراة لموسى ﷺ: "قد جعلتك لهارون إلهًا، وجعلته لك نبيًا"[3].

وقال في موضع آخر: "قد جعلتك يا موسى إلهًا لفرعون"[4].

وقال داود في الزبور، لمن كانت عنده حكمة: "كلكم آلهة. ومن العلية تدعون"[5].

فإن قلتم: إن الله ﷻ جعل موسى إلهًا لهارون[6] على معنى الرياسة عليه.

---

[1] تكوين ١:١٩ "فجاء الملاكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالسا في باب سدوم. فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض. ٢ وقال: يا سيّديَّ ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما. ثم تبكران وتذهبان في طريقكما. فقالا: لا. بل في الساحة نبيت".

[2] متى ٢٣:١ "هو ذا العذراء تحبل، وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل. الذي تفسيره: الله معنا".

[3] خروج ١:٧ "فقال الرب لموسى: انظر. أنا جعلتك إلهًا لفرعون. وهرون أخوك يكون نبيّك".

[4] هو الموضع السابق نفسه.

[5] مزامير ٦:٨٢ "أنا قلت: إنكم آلهة وبنو العلي كلكم".

[6] في النص الذي أثبتناه: أنه جعله إلها لفرعون.

قلنا: وكذلك قال أشعيا في المسيح: أنه إله لأمة على هذا المعنى. وإلا فما الفرق؟

(الشبهة السابعة): فإن قلتم: إن المسيح قد قال في الإنجيل: "من رآني فقد رأى أبي"[2]. و"أنا وأبي واحد"[3].

قلنا: إن قوله: "أنا وأبي واحد" - إنما يريد به: أن قبولكم لأمري، هو قبولكم لأمر الله. كما يقول رسول الرجل: أنا ومن أرسلني واحد، ويقول الوكيل: أنا ومن وكلني واحد؛ لأنه يقوم فيما يؤديه مقامه، ويؤدي عنه ما أرسله به، ويتكلم بحجته، ويطالب له بحقوقه.

وكذلك قوله: "من رآني فقد رأى أبي". يريد بذلك أن من رأى هذه الأفعال التي أُظهرها، فقد رأى أفعال أبي.

(الشبهة الثامنة): فإن قلتم: إن المسيح قد قال في الإنجيل: "أنا قبل إبراهيم"[4]. فكيف يكون قبل إبراهيم، وإنما هو من ولده؟ ولكنْ لما قال: "قبل إبراهيم" - علمنا ما أراد أنه قبل إبراهيم من جهة الإلهية.

قلنا: هذا سليمان بن داود، يقول في حكمته: "أنا قبل الدنيا. وكنتُ مع الله حيث بدأ الأرض"[5].

فما الفرق بينه وبين من قال: إن سليمان ابن الله، وأنه إنما قال: أنا قبل الدنيا

---

[1] أشعيا ٧:١٤ "ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل، وتلد ابناء وتدعو اسمه عمانوئيل".

[2] يوحنا ١٤:٩ "الذي رآني فقد رأى الآب. فكيف تقول أنت أرنا الآب؟".

[3] يوحنا ١٠:٣٠ "أنا والآب واحد".

[4] يوحنا ٨:٥٨ "قال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم. قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن".

[5] الأمثال ٨:٢٣ "منذ الأزل مسحت. منذ البدء. منذ أوائل الأرض".

بالإلهية.

وقد قال داود أيضًا في الزبور: "ذكرتك يا رب من البدء، وهُديت بكل أعمالك"[1].

فإن قلتم إن كلام سليمان بن داود متأوَّل؛ لأنهما من ولد إسرائيل، وليس يجوز أن يكونا قبل الدنيا.

قلنا: وكذلك قول المسيح: "أنا قبل الدنيا"- متأول؛ لأنه من ولد إبراهيم، ولا يجوز أن يكون قبل إبراهيم. فإن تأولتم تأولنا. وإن تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح، تعلقنا بظاهر الخبر في سليمان وداود. وإلا فما الفرق؟

وقد قدمنا هذا الاحتجاج على تأويلكم؛ لتعلموا بطلان ما ذهبتم إليه. على أنه تأويل غير واقع بحقه، وإنما حقه أن يكون هذا الاسم- يعني عِمَّانويل- لمَّا وقع على المسيح، كان معناه: أنه أخبر عن نفسه، بأن إلهنا معنا. يعني أن الله معه، ومع شعبه مُعينًا وناصرًا.

ومما يُصحح ذلك: أنكم تَتَسَمُّوْنَ به. ولو كان المعنى ما ذهبتم إليه، لما جاز لأحد أن يتسمى به. كما لم يجز أن يتسمى بالمسيح؛ لأنه مخصوص بمعناه.

(الشبهة التاسعة): فإن قلتم: إن تلاميذ المسيح كانوا يعملون الآيات باسم المسيح.

قلنا لكم: فقد قال الله- جل ثناؤه- ليحيى بن زكريا[2]: "قد أيدتك بروح القدس، وبقوة إلياس"[3]. وهي قوة تفعل الآيات. فأضاف القوة إلى إلياس.

---

[1] مزامير ١٤٣:٥ "تذكرت أيام القدم لهجت بكل أعمالك بصنائع يديك أتأمل".

[2] لم أجد هذا المعنى ليحيى، وأقرب معنى لذلك وجدته لإليشع.

[3] الملوك الثاني ٢:١٥ "ولما رآه بنو الأنبياء الذين في أريحا قبالته قالوا: قد استقرت روح إيليا على اليشع. فجاءوا للقائه وسجدوا له إلى الأرض".

فإن زعمتم: أن المسيح إله؛ لأنه فُعلت الآياتُ باسمه. فما الفرق بينكم، وبين من قال: إن إلياس إله؛ فإنه فُعلت بقوته الآيات؟!

(الشبهة العاشرة): فإن قلتم: إن الخشبة التي صُلِب عليها المسيح- على زعمكم- ألصقت بميت فعاش. فإن هذا دليل على أنه إله.

قلنا لكم فما الفرق بينكم وبين من قال: إن اليسع إله. واحتج في ذلك بأن كتاب سفر الملوك يخبر بأن رجلا مات، فحمله أهله إلى المقبرة. فلما كانوا بين القبور، رأوا عدوًا لهم يريد أنفسهم، فطرحوا الميت عن رقابهم، وبادروا إلى المدينة. وكان الموضع الذي ألقوا عليه الميت قبر اليسع. فلما أصاب ذلك الميت تراب قبر اليسع عاش. وأقبل يمشي إلى المدينة[1].

فإن زعمتم: أن المسيح إله؛ لأن الخشبة التي ذكروا أنه صُلِبَ عليها ألصقت بميت فعاش. فاليسع إله؛ لأن تراب قبره لصق بميت فعاش.

(الشبهة الحادية عشرة): فإن قلتم: إن المسيح كان من غير فحل.

قلنا لكم: قد كان ذلك. وليس أعجوبة الولادة توجب الإلهية، ولا الربوبية؛ لأن القدرة في ذلك للخالق- تبارك وتعالى- لا للمخلوق. وعلى أنه يوجدكم؛ لأن حواء خُلقت من فحل بلا أنثى[2]. وخَلْق أنثى من ذكر بلا أنثى، أعجب من ذكر من أنثى بغير ذكر.

---

[1] الملوك الثاني ١٣:٢١ "وفيما كانوا يدفنون رجلا، إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع. فلما نزل الرجل، ومس عظام اليشع عاش، وقام على رجليه".

[2] يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} (النساء:١).

وأعجب من ذلك أن آدم خلقه الله من تراب![1] وخلق بشر من تـراب، أعجب وأبدع من خلق ذكر من أنثى بلا فحل. فما الفرق؟

وهذه الأسباب التي ذكرناها كلها، هي الأسباب التي تتعلقون بها في نحلتكم المسيح الربوبية، وإضافتكم إليه الإلهيـة. وقـد وصـفناها علـى حقائقها عنـدكم، وقبلنا فيها قولكم. وإن كنا لا نشك في أن أهل الكتاب قد حرفوا بعض ما فيها من الكلام عن مواضعه. وأوجدناكم بطول ما تنتحلونه، وفساد ما تتأولونـه مـن الكتب التي في أيديكم: التوراة، والزبور، والأنبيـاء، والإنجيـل. فمـا الـذي يثبـت الحجة بعد ذلك لكم؟!

وقد قال السيد المسيح في الإنجيل لتلاميذه لما سألوه عن الساعة والقيامة: "إن ذلك اليوم، وتلك الساعة لا يعرفه أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابـن أيضًا. ولكن الآب وحده يعرفه"[2].

فهذا إقرار منه بأنه منقوص العلم، وأن الله- تبارك وتعالى- أعـز وأعلـم منـه، وأنه خلافه، وأعلا منه. وقد بيَّن بقوله: "أحد"- عمومه بذلك الخلق جميعًا. ثـم قال: "ولا الملائكة". وعندهم من علم الله ما ليس عند أهل الأرض. ثم قال: "ولا الابن". وله من القوة ما ليس لغيره.

وشهد قوله هذا شهادة واضحة عليه، بأنه لا يعلم كل ما يعلمـه الله. بـل مـا علَّمه الله إياه، وأطلعه على معرفته، وجعله له. وأنه لقصور معرفته بكل الأشياء، ليس بحيث يصفونه من الربوبية؛ وأنه هو الله؛ ومن جوهر أبيه- تعالى الله الخالق لكل شيء، علوًا كبيرًا.

---

[1] يقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَـالَ لَـهُ كُـن فَيَكُونُ} (آل عمران٥٩).

[2] مرقس ١٣:٣٢ "وأما ذلك اليوم، وتلك الساعة فـلا يعلـم بهمـا أحـد ولا الملائكـة الـذين في السماء ولا الابن، إلا الآب".

ولو كان إلهًا كما يقولون، لعلم ما يعلمه الله من سائر الأشياء، وسرائر الأمور وعلانيتها، إذا كان هذا المعنى ليس من الكلام الذي إذا سُئلتم عنه تعلقتم بأنه قيل للناسوت دون اللاهوت[1].

---

[1] علق ابن تيمية هنا تعليقا مطولا قال: "قلت: مقصوده بذلك أنه صرَّح بأنه لا يعلمه أحد ثم خص الملائكة بالذكر؛ لئلا يُظن أن أحدًا منهم يعلمه فقال: ولا الملائكة الذين في السماء. ثم قال: ولا الابن يعرفه وإن الآب وحده يعرفه. فنفى معرفة الابن، وأثبت أن الآب وحده يعرفه. ومراده بالابن المسيح. فعُرف أن المسيح لا يعرفه وأثبت أن الرب يعرفه دون الابن، ودل ذلك على أن لفظ الابن عند المسيح إنما يراد بها الناسوت وحده- إذ كان لا يجوز نفي العلم عن اللاهوت؛ فإن اللاهوت يعلم كل شيء.

وقد دلَّ ذلك على أن قوله: "عمِّدوا الناس باسم الآب، والابن- المراد به الناسوت وحده، كما أريد بلفظ الابن في سائر كلامه، وكلام غيره. لم يرد قط أحد منهم بلفظ الابن اللاهوت، بل إطلاق الابن على اللاهوت مما ابتدعته النصارى، وحملوا عليها كلام المسيح. فابتدعوا لصفات الله أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وحملوا عليها كلام المسيح. وإنما يُحمل كلام الأنبياء- عليهم السلام- وغيرهم على معنى لغتهم التي جرت عادتهم بالتكليم بها، لا على لغة يُحدثها من بعدهم، ويحمل كلامهم عليها.

قلت: فإن هذا الذي فعلته النصارى وأشباههم، يفتح باب الإلحاد في كتب الله المنزلة. وقد قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (فصلت:٤٠).

وذلك أن كل من اعتقد معانيَ برأيه يمكنه أن يُعبِّر عنها بألفاظ تناسبها بنوع مناسبة. وتلك الألفاظ موجودة في كلام الأنبياء- عليهم السلام- لها معان أخر. ويجعل تلك الألفاظ دالة على معانيه التي رآها. ثم يجعل الألفاظ التي تكلمت بها الأنبياء، وجاءت بها الكتب الإلهية- أرادوا بها معانيه هو.

وهكذا فعل سائر أهل الإلحاد في سائر الكتب الإلهية. كما فعلته النصارى. مثل ما عملت الملاحدة المتبعون لفلاسفة اليونان، القائلون بأن هذه الأفلاك قديمة أزلية، لم تزل، ولا تزال. وأن الله لم يتكلم بالتوراة، ولا غيرها من الكتب الإلهية. ولا هو عالم بالجزئيات، لا بموسى بن عمران، ولا

بغيره. ولا هو قادر أن يفعل بمشيئة، ولا يقيم الناس من قبورهم. فقالوا: خلق، وأحدث، وفعل، وصنع، ونحو ذلك. يُقال على الإحداث الذاتي، والإحداث الزماني. فالأول: هو إيجاب العلة لمعلولها المقارن لها في الزمان. والثاني: إيجاد الشيء بعد أن لم يكن.

ثم قالوا: ونحن نقول إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما، وأحدث ذلك وأبدعه وصنعه كما أخبرت بذلك الأنبياء- عليهم السلام، لكن مرادهم بذلك الإحداث الذاتي. وهو أن ذلك معلول له، لم يزل معه.

فيقال لهم: لم يستعمل أحد من الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام، بل ولا أحد من سائر الأمم لفظ الخلق والإحداث إلا فيما كان بعد عدمه وهو ما كان مسبوقا بعدمه ووجود غيره. ومعنى هذا اللفظ معلوم بالاضطرار في جميع لغات الأمم.

وأيضًا فاللفظ المستعمل في لغة العامة والخاصة لا يجوز أن يكون معناه ما لا يعرفه إلا بعض الناس. وهذا المعنى الذي يدعونه لو كان حقا لم يتصوره إلا بعض الناس. فلا يجوز أن يكون اللفظ العام الذي تداوله العامة والخاصة موضوعًا له؛ إذا كان هذا يُبطل مقصود اللغات، ويُبطل تعريف الأنبياء للناس. فكيف وهو باطل في صريح المعقول، كما هو باطل في صحيح المنقول؟! فإنه لم يعرف أن أحدًا قط عبَّر عن القديم الأزلي الذي لم يزل موجودًا، ولا يزال، بأنه مُحْدَث أو مخلوق، أو مصنوع، أو مفعول. فهذا الذي ذكرتموه كذب صريح على الأنبياء- عليهم السلام؛ لتوهموا الناس أنكم موافقون لهم.

والكتب الإلهية كالتوراة والقرآن مصرحة بأن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام. والقديم الأزلي لا يكون مخلوقًا في ستة أيام.

وكذلك الكتب الإلهية كالتوراة والقرآن قد أخبرت بتكليم الله لموسى، وبندائه إياه من الطور من الشجرة. وفي التوراة أنها شجرة العليق. وأخبرتْ بأن موسى عليه السلام كان يلقي عصاه فتصير حية تسعى، وتخبر بأن الله فلق البحر.

فقالت الملاحدة: إن الشيء الثابت يسمى طورًا؛ فإنه ثابت كالجبل. والقلوب تسمى أودية. وإظهار العلوم بتفجير ينابيع العلم والحجة المبتلعة كلام أهل الباطل. هي عصا معنوية. فمراد الكتب بالطور: العقل الفعال، الذي فاض منه العلم على قلب موسى عليه السلام. والوادي قلب موسى. والكلام الذي سمعه موسى، سمعه من سماء عقله. وتلك الأصوات كانت في نفسه، لا في الخارج.

والملائكة التي رآها كانت أشخاصًا نورانية، تمثلت في نفسه لا في الخارج. والبحر الذي فلقه هو بحر العلم، والعصا كانت حجته غلب على السحرة بحجته العلمية، فابتلعت حجتُه شبههم التي جعلوها حبالا؛ يتوسلون بها إلى نيل أغراضهم وعِصيًا يقهرون بها من يجادلونه.

أفليس من قال مثل هذا الكلام، يُعلم بالاضطرار: أنه يكذب على الكتب الإلهية التي أخبرت بقصة موسى، كالتوراة والقرآن. وأنه ليس مراد الرسل بما أخبروا به من قصة موسى هذا. بل صرحوا بأن موسى سمع نداء الله له وأنه كلمه من الطور. طور سينا الذي هو الجبل، وقلب عصاه التي كان يهش بها على غنمه ثعبانًا عظيمًا، وفلق له البحر، وأغرق فيه آل فرعون؛ فغرقوا؛ وماتوا فيه؛ وهلكوا، وأمثال هذا من تحريفات الملاحدة كثير.

فهكذا النصارى، حرَّفوا كتب الله، وسموا صفة الله القديمة الأزلية التي هي علمه أو حكمته: ابنه وسموها أيضًا: كلمة. وسموا صفته القديمة الأزلية التي هي حياته: روح القدس. وتسمية هذه الصفات بهذه الأسماء لا توجد في شيء من كلام الأنبياء ولا غيرهم. ولا يُعرف أن أحدًا قط - لا من الأنبياء ولا غيرهم، سمَّى علم الله القائم به: ابنه. بل ولا سمَّى علم أحد من العالمين القائم به ابنه. ولكن لفظ الابن يعبر به عمن ولد الولادة المعروفة. ويعبر به عمن كان هو سببًا في وجوده، كما يقال: ابن السبيل، لمن ولدته الطريق؛ فإنه لما جاء من جهة الطريق؛ جعل كأنه ولده.

ويقال لبعض الطير: ابن الماء لأنه يجيء من جهة الماء. ويقال: كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن الابن ينتسب إلى أبيه ويحبه؛ ويضاف إليه أي كونوا ممن ينتسب إلى الآخرة ويحبها، ويضاف إليها.

وهذا اللفظ موجود في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب في حق الصالحين الذين يحبهم الله ويربيهم، كما ذكروا أن المسيح قال: "أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم". وفي التوراة: أن الله قال ليعقوب: "أنت ابني بكري". ونحو ذلك مما يُراد به - إذا كان صحيحًا - معنى صحيح، وهو المحبة له والاصطفاء له والرحمة له.

وكان المعنى مفهومًا عند الأنبياء - عليهم السلام - ومن يخاطبونه. وهو من الألفاظ المتشابهة فصار كثير من أتباعهم يريدون به المعنى الباطل.

وزعم كثير من الكفار: أن لله ﷻ بنين وبنات، وأن الملائكة بناته. وبعض من يقول بقدم العالم من المتفلسفة يقولون: العقول العشرة هي بنوه، والنفوس الفلكية هي بناته، وهي متولدة عنه

لازمة لذاته فجاء القرآن- الذي هو أفضل الكتب وأكملها- بإبطال هذه المعاني ومنع استعمل هذا اللفظ في حق الله تعالى، فنزه الله عن أن يتخذ ولداً، كما نزهه عن أن يكون له ولد والأول من باب تنزيهه عن الأفعال المذمومة. وهذا على قول جماهير المسلمين وغيرهم الذين ينزهون الله ويقدسونه عن الأفعال القبيحة التي لا تليق به بل تنافي ما وجب له من الكمال في أفعاله كما وجب له الكمال في ذاته وصفاته.

وأما من كان من المسلمين وغيرهم لا ينزه الله عن فعل من الأفعال، إلا ما كان ممتنعًا لذاته. فأما الممكن المقدور فيقول: لا يُعلم انتفاؤه إلا بالخبر، أو بالعادة المطردة التي يمكن انتقاضها فهذا لا يبقى معه ما ينفي به عن الله الأفعال المذمومة القبيحة، والكتب الإلهية قد نزهت الرب ﷻ عن الأفعال المذمومة كما نزهته عن صفات النقص، كقوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ} (الأنبياء:٢٦).

وقال تعالى: {إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} (النساء:١٧١).

كما قال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} (الأنعام:١٠٠).

وقال تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} (الإسراء:١١١).

وقال تعالى عن المؤمنين: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا} (آل عمران:١٩١).

وقال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} (الفرقان:١-٢).

وقال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (المؤمنون:٩١-٩٢).

وقال تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (الصافات:١٥١-١٥٢).

وقال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} (الإخلاص:١-٤).

فكما نزه نفسه عن الولادة، نزه نفسه عن اتخاذ الولد.

وقال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً} (مريم:٨٨-٩٥).

وقال تعالى: {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً} (النساء:١٧٢).

وقال تعالى: {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} (آل عمران:٨٠).

وفي الصحيح عن النبي أنه قال: "يقول الله تعالى: كذّبني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك! وشتمني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك! فأما تكذيبه إياي فقوله: أنّى يعيدني كما بدأني. وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: أني اتخذت ولدًا. وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد". [البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله {وعلم آدم الأسماء كلها} (٤٢١٢)].

وفي الصحيح عن النبي أنه قال: "ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله؛ إنهم ليجعلون له ولدًا وشريكًا، وهو يرزقهم ويعافيهم". [البخاري، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى (٥٧٤٨)].

ولهذا كان معاذ بن جبل يقول: "لا ترحموا النصارى؛ فإنهم سبوا الله مسبة ما سبّه إياها أحدٌ من البشر".

فجاءت هذه الشريعة الحنيفية القرآنية، وحرمت أن يُتكلم في حق الله باسم ابن أو ولد؛ سدًا للذريعة. كما منعت أن يسجد أحد لغير الله وإن كان على وجه التحية. كما منعت أن يصلي أحد عند طلوع الشمس وغروبها؛ لئلا يشبه عُبّاد الشمس والقمر. فكانت بسدها للأبواب- التي يُجعل لله فيها الشريك والولد- أكمل من غيرها من الشرائع. كما سدتْ غير ذلك من الذرائع، مثل تحريمها قليل المسكر؛ لأنه يجر إلى كثيره. فإن أصول المحرمات التي قال الله فيها: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ

ومثل هذا أنه لما خاطبه الرجل- على ما كُتب في الإنجيل، فقال له: "أيها الخيِّر". فقال:"ليس الخيِّر إلا الله وحده". قلت: وبعضهم يترجمه: "أيها الصالح". فقال: "ليس الصالح إلا الله وحده"[1].

ومثله قوله في الإنجيل: "إني لم آتِ لأعمل بمشيئتي، لكن بمشيئة من أرسلني"[2].

رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} (الأعراف:٣٣)- مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء. بخلاف تحريم الطيبات عقوبة، فإن هذا جاء في شرع التوراة دون شرع القرآن. فإن الله أحل لأمة محمد الطيبات، وحرم عليهم الخبائث. وكذلك تكميل التوحيد من كل الوجوه، وسد أبواب الشرك من كل الوجوه، جاءت به هذه الشريعة مع اتفاق الأنبياء على إيجاب التوحيد، وتحريم أن يجعل لله شريك أو ولد.

فإذا كان مراد المسيح ﷺ بالابن هو الناسوت، وهو لم يُسَمِّ اللاهوت ابنا. وقد ذكر أن الابن لا يعلم الساعة. فتبين بذلك أن المسيح هو الناسوت وحده، وأنه لا يعلم الساعة. وهذا هو الحق.

وإن قالوا مراده بالابن اللاهوت، أو اللاهوت والناسوت، لزم من ذلك أن اللاهوت، أو اللاهوت والناسوت لا يعلم الساعة. وهذا باطل وكذب. وهو أيضا مناقض لقولهم.

فدل هذا النص من المسيح- مع سائر نصوصه ونصوص الأنبياء: على أن مسمى الابن هو الناسوت وحده، وأنه لا يعلم ما يعلمه الله. وذلك صريح في أنه مخلوق، ليس بخالق. ولا يجوز أن يكون هذا خطابا للناسوت المتحد باللاهوت، دون اللاهوت، كما يتأوله عليه بعض النصارى؛ لأن كل ما علمه اللاهوت المتحد بالمسيح علمه الناسوت؛ ولأن الناسوت ليس هو الابن عندهم، دون اللاهوت المتحد به. بل اسم الابن عندهم هو اللاهوت، ولأجل الاتحاد دخل فيه الناسوت؛ ولأنه لم يثبت إلا علم الآب وحده، لم يستثن علم الابن الأزلي عندهم؛ بل نفى علم ما سوى الآب به. وهذا مناقض لقولهم من كل وجه". أ.هـ

[1] لوقا ١٨:١٨ "وسأله رئيس قائلا: أيها المعلِّم الصالح! ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية. ١٩ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد، وهو الله".

[2] يوحنا ٦:٣٨ "لأني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني".

ولو كانت له مشيئة لاهوتية- كما يقولون- لما قال هذا القول. فقد أبطل به ما تدعونه في ذلك.

ثم أنتم مع ذلك تَدَّعون: أن المسيح كلمة الله، ومن قوة الله غير بائنة منه، ولا منفصلة عنه. وتشهدون عليه في الإنجيل بقوله: إنه يصعد إلى السماء، ويجلس عن يمين أبيه[1]، ويدين الناس يوم القيامة، ويجازيهم بأعمالهم[2]، ويتولى الحكم بينهم. وأن الله ﷻ منحه ذلك[3]؛ إذ كان لا يراه أحد من خلقه في الدنيا ولا في الآخرة[4].

فإن كان هذا الجالس للحكومة بين العالمين يوم الدين، والقاعد عن يمين أبيه، وهو شخص قائم بذاته، لا يشك فيه- هو الجسد الذي كان في الأرض، المتوحد به الربوبية- فقد فصلتم بين الله تبارك وتعالى وبينه، وبعضتموه باجتماعهما في السماء شخصين متباينين، أحدهما عن يمين صاحبه. وهذا كفر، وشرك بالله ﷻ. وإن كان جسدًا خاليًا من الإلهية، وهي الكلمة. وقد عادت إلى الله كما بدت منه- فقد زال عنه حكم الربوبية التي تنتحلونه إياها.

---

[1] مرقس ١٦:١٩ "ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله".

[2] متى ١٦:٢٧ "فان ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله".

[3] يوحنا ٥:٢٢ لأن الآب لا يدين أحدا، بل قد أعطى كل الدينونة للابن".

[4] يوحنا ٥:٣٧ والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته".



نقد عقيدة الأقانيم الثلاثة

ونسألكم عن واحدة نحب أن تخبرونا بها، هي أصل ما وضعتموه من عبادة الثلاثة الأقانيم التي ترجع بزعمكم إلى جوهر واحد، وهو اللاهوت: ما هو؟ ومن أين أخذتموه؟ ومن أمركم به؟ وفي أي كتاب نزل؟ وأي نبي تنبأ به؟ أو أي قول للمسيح تدعونه فيه؟ وهل بنيتم أمركم في ذلك إلا على قول متّى التلميذ[1] على

---

[1] الصحيح في ضوء الدراسات الحديثة لعلم مقارنة الأديان أن نقول: إن كتاب الأناجيل هم أربعة رجال مجهولين، وتؤكد الدراسات الحديثة: أن الأناجيل هي تركيبات مصطنعة لروايات متعارضة ليس لها سند من الواقع، ومن ذلك ما يعبر عنه "شارل جينيبر" من أن تصفح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى "تركيبات" واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث، مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية، ولم يستلهموا تاريخًا ثابتًا يفرض تسلسل حوادثه عليهم، بل على العكس من ذلك اتبع كل هواه وخطته الخاصة في تنسيق وترتيب مؤلفه، ولاشك أيضًا في أنه لم يعتمد أحد منهم على سلسلة كاملة مترابطة من الوقائع تسمح له بأن يضع صورة واضحة لحياة المسيح، فلم يكن عملهم إذن سوى أن يربطوا - في كثير أو قليل من المهارة - بين أطراف من المرويات، وأن يشكلوا منها سيرة افتقرت إلى الوحدة الحقيقية كما أن عناصرها تبدو مجموعة في إطار مصطنع، وإننا لنلحظ في ثنايا هذه السيرة الإنجيلية نقصًا كثيرًا، وفجوات خطيرة. نلحظها حتى في إنجيل مرقس الذي بلغ به الحرص أن تحاشى الحديث عن مولد عيسى وطفولته.

ويؤكد شارل جينيبر أيضا أن كُتّاب الأناجيل لم يهتموا بالتحقيق التاريخي ولا بروح النقد وافتقدوا المنهج الذي يفترض الشك (المسيحية نشأتها وتطورها: شارل جينيبر، ص٣٧-٣٨).

وأما متّى فليس من الثابت أنه من حواريي المسيح. وقيل: إنه توفي سنة (٧٠م)، أو سنة (٦٢م). واختلف في السنة التي كتب فيها إنجيله، فقيل سنة (٣٧)، أو (٣٨)، أو (٤١)، أو (٤٣)، أو (٤٨)، أو

المسيح ﷺ، أنه قال لتلاميذه حيث أراد أن يفارقهم: "اذهبوا فعمّدوا الناس، باسم الآب، والابن، وروح القدس"[1].

وهذا كلام يحتمل معناه- إن كان صحيحًا: أن يكون ذهب فيه، بأن يجمع هذه الألفاظ إلى أن تجتمع لهم بركات الله، وبركة نبيه المسيح، وروح القدس التي يؤيد بها الأنبياء والرسل. وقد نراكم إذا أردتم الدعاء بعضكم لبعض قلتم: صلاة فلان القديس تكون معك. ومعنى الصلاة الدعاء. واسم فلان النبي يعينك على أمورك. وكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾(النساء:٥٩). يقرن طاعته نبيه، وأولي الأمر من المسلمين. أفتقول لذلك: إنهم جميعا آلهة؟!

وقد يجوز أن يكون له معنى يدق عن الوقوف عليه بغير التأويل- إن لم يكن معناه ما قلناه. أو يكون المسيح ﷺ ذهب فيه إلى ما هو أعلم به. فلِمَ حكمتم بأنه ذهب إلى أن هذه الأسماء لمّا أضافها إلى الله ﷻ، صارت آلهة. وجعلتم لها أقانيم، لكل اسم أقنوم يخصه بعينه، وهو شخص واحد؟! وكيف استجزتم ما أشركتموه مع الله ﷻ بالتأويل الذي لا يصح؟

وإذا قلتم بثلاثة أقانيم، كل أقنوم بذاته، فلابد من أن تعترفوا ضرورة، بأن كل أقنوم منها: حي، سميع، بصير، عالم، حكيم، منفرد بذاته.

كما تقولون في المسيح: إنه جالس عن يمين أبيه. فنراكم أخذتم الأقنومين- اللذين أحدثتموها مع الله- من جهة أن الله حكيم، حي. فحكمته الكلمة، وهي المسيح. وروحه روح القدس، وهذه صفة من صفات الله مثلها كثير؛ لأنه يُقال:

---

(٦١)، أو (٦٢)، أو (٦٣)، أو (٦٤)، أو (٨٠)، أو (٩٠) من الميلاد أو غير ذلك؛ ونسخته الآرامية الأصلية مفقودة؛

[1] متى ٢٨:١٩ "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب، والابن، والروح القدس".

حكيم، عليم، سميع، بصير، حي، قدير.

وكذلك ربنا- تبارك وتعالى، وإن كانت صفاتنا إياه لا تلحق صفاته، ولا تبلغ كنه[1] مجده إلا بالتمثيل لعظمته وعزته وجلاله وعلوه، فنحلتم صفاته التي هي معناه- وليست سواه- غيره[2]. وجعلتموه أقانيم، لكل واحد من الحياة والحكمة وسائر الصفات، مثل الذي له. وما منها أقنوم له صفة، إلا ويحتمل- على قياس قولكم- أن تكون صفته مثله. فإذا كانت هذه الأقانيم آلهة، وكل صفة إله، وهي من جوهره، فيجب أن تكون كل صفة لكل واحد من الثلاثة الأقانيم إلهاً مثله؛ إذ كان من جوهره. فيتسع الأمر في ذلك حتى لا يكون له غاية، ولا نهاية.

وإذا قلتم بثلاثة أقانيم، هي في السماء، من جوهر قديم، أفليس يلزمكم الإقرار بثلاثة آلهة[3]؟! لأن الأقانيم أشخاص يُومأ إليها، ويقع الحد عليها. وإلا فما الحجة، وأنتم تذكرون في بعض احتجاجكم: أنها ثلاثة ترجع إلى واحد، غير متبعضة، ولا منفصلة. وتشبهونها في اجتماعها، وظهور ما يظهر منها بالشمس؟!

وقد نراكم عقدتم شريعة إيمانكم على أن المسيح إله وإنسان متحدين، وأنه يصعد إلى السماء، ويجلس عن يمين أبيه، والجالس عن يمين صاحبه- أليس هو منفصلا عنه، مفروزًا عنه؟! فكيف يصح على هذا القول قياس، أو يصح به عقد دين؟! تقولون مرة مجتمع، ومرة منفصل!

وما شبهتموه به من الشمس، فقد تقدم شرحنا لبطلان الحجة فيه، وأنه لا

---

[1] الكُنْهُ: جَوْهَرُ الشَّيءِ، وغايَتُه، وقَدْرُه، ووَقْتُه، ووجْهُه. واكْتَنَهَهُ، وأكْنَهَهُ: بَلَغَ كُنْهَهُ (القاموس المحيط ١٦١٦/١).

[2] يقول الله تعالى: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى:١١).

[3] يقول الله تعالى: {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (المائدة:٧٣).

يكون قياسه القياس الذي تعلقتم به.

[بين التثليث والتخميس]

على أنَّا وجدناكم تقولون في معنى التثليث: إن الذي دعاكم إليه ما ذكرتم، أن متَّى التلميذ حكاه في الإنجيل عن المسيح ﷺ، إذ قال لتلاميذه: "سيروا في البلاد، وعمِّدوا الناس باسم الآب، والابن، والروح القدس"[1]. وأنكم فكرتم في هذا القول بعقولكم، فعلمتم أن المراد بذلك: أنه لمَّا أنْ ثبت حدوث العالم، علمتم أن له مُحْدِثًا، فتوهمتموه شيئًا موجودًا، ثم توهمتموه حيًا، ثم ناطقًا؛ لأن الشيء ينقسم لحي، ولا حي. والحي ينقسم لناطق، ولا ناطق.

وأنكم علمتم بذلك: أنه شيء حي ناطق، فأثبتم له حياة ونطقًا غيره في الشخص، وهما هو في الجوهرية.

فنقول لكم في ذلك: إذا كان الحي له حياة ونطق، فأخبرونا عنه. أتقولون: إنه قادر عزيز، أم عاجز ذليل؟

فإن قلتم: لا بل هو قادر عزيز.

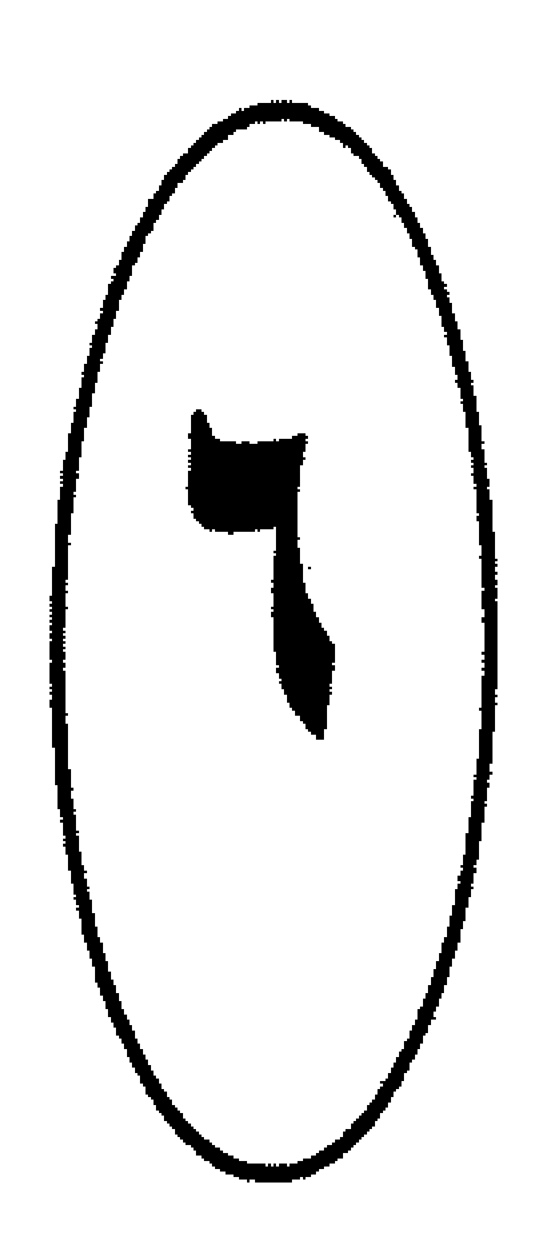
قلنا: فأثبتوا له قدرة وعزة، كما أثبتم له حياة وحكمة.

فإن قلتم: لا يلزمنا ذلك؛ لأنه قادر بنفسه، عزيز بنفسه.

قلنا لكم: وكذلك فقولوا: إنه حي بنفسه، وناطق بنفسه. ولا بد لكم مع ذلك من إبطال التثليث، أو إثبات التخميس. وإلا فما الفرق؟! وهيهات من فرق!!

---

[1] متى ٢٨:١٩ "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب، والابن، والروح القدس".



الإنجيل يقول
عيسى بشر رسول

إنا كلما تأملنا معكم في نسبة المسيح ﷺ إلى الإلهية، وعبادتكم له مع الله على الجهة التي تذهبون إليها، وطلبنا لكم الحجة في ذلك من كتبكم- ازددنا بصيرة في استحالة ذلك، ووضعكم له من القول ما لا يثبت لكم به حجة، ولا يشهد به لكم شيء من كتبكم!!

ووجدنا أبين ما جاء في المسيح، وصحة أمره فيما أتى به، ما قال متّى التلميذ: "إنه لمّا جاء يسوع إلى أرض قيسارية، سأل تلاميذه فقال: ماذا يقول الناس في أني ابن البشر؟ فقالوا: منهم من يقول إنك يوحنا المعمداني، وآخرون يقولون: إنك أرميا، أو أحد الأنبياء. فقال لهم يسوع. فأنتم ماذا تقولون؟ فأجابه سمعان الصفا- وهو رئيسهم- فقال: أنت المسيح ابن الله الحق. فأجابه المسيح وقال: طوبى لك يا سمعان بن يونا[1]، إنه لم يطلعك على هذا لحم ولا دم، ولكن أبي الذي في السماء"[2].

---

[1] في الأصل: "سمعان ابن يونان".

[2] متى ١٣:١٦ "ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلا: مَن يقول الناس إني أنا، ابن الإنسان؟ ١٤ فقالوا: قوم يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون أرميا، أو واحد من الأنبياء. ١٥ فقال لهم: وأنتم مَن تقولون إني أنا؟ ١٦:١٦ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي. ١٦:١٧ فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا. إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات".

وحكى لوقا في إنجيله هذا الخبر فقال: إن سمعان أجابه فقال: "أنت مسيح الله"[1]. ولم يقل ابن الله.

فهذا كلام تلميذه الرئيس فيه. وأرضاه ما قال.

وقوله: إنه لم ينطق بذلك إلا ما أوحاه الله في قلبه، ولم ندفعكم قط عن أنه مسيح الله، ولا عن أنه كما تقولون في لغتكم: إنه ابن الله بالرحمة والصفوة. مع هذا الاختلاف الواقع في ذلك في الإنجيلين. وقد قال مثل ذلك فيكم جميعًا: "إن الله إلهي وإلهكم. وأبي وأبيكم"[2]. فنعمل على احتجاجكم بأنه ليس مثلكم في معنى البنوة، ونجعله مثل من سمى في الكتب ابنا على جهة الاصطفاء والمحبة، مثل إسرائيل وغيره. بل قد خص إسرائيل بأن قال ﷻ: "أنت ابني بكري"[3].

وهذا كلام له مذهب في اللغة القديمة التي جاءت بها الكتب، وليست بموجبة الإلهية؛ إذ كان قد شاركه في هذا الاسم غيره. فلِمَ لا جعلتموه كما جعل نفسه؟!

ومما يؤكد المعنى في ذلك، ويُزيل تأويل مَنْ يتأول له ما لم يدعه، ولم يرض به- قوله في علم الساعة: "إن ذلك شيء لا يعلمه أحد من الخلق، ولا الملائكة المقربون، ولا الابن- يعني نفسه، إلا الأب وحده"[4].

ثم قال للرجل الذي أتاه فقال له: "أيها العالم الصالح، أي الأعمال خير لي، الذي تكون لي حياة إلى يوم الدين؟ فقال له: لِم تقول لي صالحًا! ليس الصالح

---

[1] لوقا ٩:٢٠ "فقال لهم: وأنتم من تقولون أني أنا؟ فأجاب بطرس وقال: مسيح الله".

[2] يوحنا ٢٠:١٧ "قال لها يسوع: لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم".

[3] خروج ٤:٢٢ "فتقول لفرعون: هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر".

[4] مرقس ١٣:٣٢ "وأما ذلك اليوم، وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن، إلا الأب".

إلا الله وحده"[1].

فاعترف لله بأنه واحد لا شريك له، ونفى عن نفسه فلم يجعلها- ولا أحداً من الخلق- أهلا لذلك.

وقوله للمرأة التي جاءته فقالت: "أنت ذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه".

فقال لها المسيح: "صدقت. طوبى لك!"[2].

ثم قال للشيطان حين اختبره، فسامه[3] أن يُلقي نفسه من رأس الهيكل، فقال: "أُمرنا أن لا نُجَرِّب الرب"[4].

ثم سامه أن يسجد له فقال: "أُمِرْنا أن لا نسجد إلا لله وحده. ولا نعبد سواه"[5].

---

[1] متى ١٦:١٩ "وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل؛ لتكون لي الحياة الأبدية؟ ١٧ فقال له: لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا".

[2] يوحنا ١٩:٤ "قالت له المرأة: يا سيدنا أرى أنك نبي!... ٢٥:٤ قالت له المرأة: أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي،فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء. ٢٦ قال لها يسوع: أنا الذي أكلمك هو".

[3] سامَهُ السوم أنْ يُحَمِّلَكَ الإنسان ما تَكْرَهُ يُقالُ: سامَهُ خَسْفاً- ويُضَمُّ: إذا أوْلاهُ ذُلاًّ (القاموس المحيط ١٠٣٩/١).

[4] لوقا ٩:٤ ثم جاء به إلى أورشليم، وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا إلى أسفل!... ١٢ فأجاب يسوع وقال له: إنه قيل: لا تجرب الرب إلهك".

[5] لوقا ٥:٤ "ثم أصعده إبليس إلى جبل عال، وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان. ٦ وقال له إبليس: لك أعطي هذا السلطان كله ومجدهن؛ لأنه إليَّ قد دفع، وأنا أعطيه لمن أريد. ٧ فإن سجدت أمامي يكون لك الجميع. ٨ فأجابه يسوع وقال: اذهب يا شيطان! إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد".

ثم صلاته في غير وقت لله. وآخرها الليلة التي أخذته اليهود فيها[1]. فإذا كان إلهًا- كما زعمتم- فلمن كان يصلي ويسجد؟!

ثم قول الجموع- الذين كانوا معه، حين دخل أورشليم، وهي مدينة بيت المقدس، على الأتان، لمن كان يسأله عن أمره لما راجت المدينة به: "هذا هو يسوع الناصري، النبي الذي من الناصرة"[2].

ثم قوله في بعض الإنجيل: "أُخرجوا بنا من هذه المدينة؛ فإن النبي لا يُبَجَّل في مدينته"[3].

وفي موضع آخر أنه قال: "لا يُهان نبي إلا في مدينته، وفي بيته وأقاربه"[4].

وقوله في بعض خطبه: "إن هذا الجيل السوء يريد آية. وإنه لا يُعْطَى إلا آية يونس. كما كان يونس لأهل نينوى، كذلك يكون ابن البشر لهذا الجيل. رجال نينوى يقومون في الدين مع هذا الجيل، فيخصمونهم لأنهم تابوا على قول يونس النبي، وإن هاهنا أفضل من يونس"[5].

---

[1] مرقس ١٤:٣٥ "ثم تقدّم قليلا، وخرّ على الأرض، وكان يصلّي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن". لوقا ٦:١٢ "وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلّي. وقضى الليل كله في الصلاة لله".

[2] متى ٢١:١٠ "ولما دخل أورشليم، ارتجّت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ ٢١:١١ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل".

[3] لوقا ٤:٢٤ "وقال الحق أقول لكم: إنه ليس نبي مقبولا في وطنه".

[4] متى ١٣:٥٧ "فكانوا يعثرون به. وأما يسوع فقال لهم: ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته".

[5] لوقا ١١:٢٩ "وفيما كان الجموع مزدحمين، ابتدأ يقول: هذا الجيل شرير يطلب آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي. ١١:٣٠ لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى، كذلك يكون ابن الإنسان أيضا لهذا الجيل... ١١:٣٢ رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه؛ لأنهم تابوا بمناداة يونان. وهو ذا أعظم من يونان ههنا".

ثم قول داود في نبوته عليه: "من هذا الرجل الذي ذكرته، وجعلته دون الملائكة قليلا"[1].

ثم قول تلاميذه فيه ما شرحناه في صدر كتابنا هذا ما تقدم، ووصفهم أنه رجل أتى من عند الله بالأيدي والقوة[2].

ومما يشبه ذلك، أنه لما قدم تلامذته فركبوا السفينة، وقال لهم: "امضوا فإني الحق بكم". فأتاهم يمشي على البحر. فلما رأوه في تلك الحال قالوا: "ما هذا الحال؟! ويح!". ومن الغرق صاحوا، فقال لهم يسوع: "اطمئنوا، ولا تخافوا. أنا هو". فأجابه شمعون الصفا، وقال له: "يا رب إن كنت أنت هو، فأذنْ لي آتيك على الماء". فقال له: "تعال".

فنزل سمعان إلى الماء ليمشي عليه فلم يستطع، وجعل يغرق. فصاح وقال: "يا رب أغثني!". فبسط يده يسوعُ، فأخذه. وقال له: "لِمَ تشككتَ يا قليل الأمانة"[3].

---

[1] ٨:٤ "فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده. ٨:٥ وتنقصه قليلا عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلله".

ومن الواضح أن قول داود هو عن ابن آدم عمومًا ولا يخص المسيح.

[2] أعمال الرسل ٢:٢٢ "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. يسوع الناصري رجل، قد تبرهن لكم من قِبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون".

أعمال الرسل ١٠:٣٨ "يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة".

[3] متى ١٤:٢٢ "وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع. ٢٣ وبعدما صرف الجموع، صعد إلى الجبل منفردًا ليصلّي. ولما صار المساء كان هناك وحده ١٤:٢٤ وأما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر معذبة من الأمواج؛ لأن الريح كانت مضادة ٢٥ وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشيًا على البحر. ٢٦ فلما أبصره التلاميذ

قال فبان بذلك عجز المسيح عن إتمام ما سأله شمعون الصفا.

ومثله أمر الرجل الذي قال ليسوع خبر ابنته، وما ينالها من الشيطان، وأنه قد قدَّمها إلى تلاميذه، فلم يستطيعوا أن يُخرجوه، وقد كان جعل لهم ذلك وغيره. فأخرجه هو منها[1].

وقال في الإنجيل- وهو يذكر الأمثال التي ضربها لرؤساء الكهنة، أنهم لمَّا سمعوها منه علموا أنها في شأنهم، فهمُّوا أن يأخذوه، ثم فرّقوا من الجموع؛ لأنهم كانوا يُنزلونه مثل النبي[2].

وقال في الإنجيل، لمَّا جاءته أمُّ ابني زبدي[3]، وكانت من تلامذته مع ابنيها. فقال لها: "ما تريدين". قالت: "أريد أن تُجلس ابناي، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك في ملكوتك". فقال: "ليس إلى ذلك سبيل؛ لأنه ليس لي أن أعطيه، ولكن من وُعد له من أبي"[4].

ماشيًا على البحر اضطربوا قائلين: إنه خيال. ومن الخوف صرخوا. ٢٧ فللوقت كلمهم يسوع قائلا تشجعوا، أنا هو، لا تخافوا. ٢٨ فأجابه بطرس وقال: يا سيد إن كنت أنت هو، فمُرْني أن آتي إليك على الماء ٢٩ فقال تعال. فنزل بطرس من السفينة، ومشى على الماء؛ ليأتي إلى يسوع. ٣٠ ولكن لما رأى الريح شديدة خاف. وإذ ابتدأ يغرق، صرخ قائلا: يا رب نجني ٣١ ففي الحال مدَّ يسوع يده وأمسك به، وقال له: يا قليل الإيمان لماذا شككت؟!".

[1] متى ١٧:١٤ "ولما جاءوا إلى الجمع، تقدم إليه رجل جاثيًا له. ١٥ وقائلا: يا سيد ارحمْ ابني فإنه يُصرع ويتألم شديدا، ويقع كثيرا في النار، وكثيرا في الماء ١٦ وأحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه".

[2] لوقا ١٩:٤٧ "وكان يعلّم كل يوم في الهيكل، وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه ٤٨ ولم يجدوا ما يفعلون؛ لان الشعب كله كان متعلقا به يسمع منه".

[3] في الأصل: "ابني زندا". وما أثبتته هو نص الإنجيل.

[4] متى ٢٠:٢٠ "حينئذ تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها، وسجدت وطلبت منه شيئا ٢١ فقال لها: ماذا تريدين؟ قالت له: قل أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في

فما يكون- يا هؤلاء- أفصح، وأبين، وأوضح من اجتماع هذه الشواهد لكم في كتبكم. ما رضيتم بقوله في نفسه، ولا بقول تلامذته فيه، ولا بقول من تنبأ عليه من الأنبياء، ولا قول جموعه الذين تولّوه- لمن سألهم من مخالفيهم عنه. وتركتم ذلك كله، وأخذتم بآراء قوم تأوّلوا لكم، على علمكم بأنهم قد اختلفوا أيضًا في الرأي. فقال كل قوم في المسيح ما اختاروا. واتبع كلا منهم طائفة قالوا بقولهم. ثم سلك من بعدهم سبيل الآباء في الاقتداء بهم. فبينوا لنا حجتكم في ذلك. وهيهات من حجة! ونحن نستوهب الله العصمة. والتوفيق منه!

ومما يُشبه ما تقدم، قوله لتلاميذه في إنجيل لوقا: "فأما أنتم الذين صبرتم معي في بلائي وتجاربي، فإني أعدكم كما وعدني أبي- الملكوتَ؛ لتأكلوا؛ وتشربوا معي على مائدتي في ملكوتي"[1].

فبيَّن أن الله- عز وجل ثناؤه- وعده: أن يجعله في ملكوت السماء، يأكل ويشرب مع تلاميذه على مائدته. وهذا ما لا شك لكم فيه. وهو مخالف لقولكم فيما يصير إليه، وفي الأكل والشرب والنعيم هناك[2]!

ملكوتك. ٢٢ فأجاب يسوع وقال: لستما تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا؟ وأن تصطبغا بالصبغة التي اصطبغ بها أنا؟ قالا له: نستطيع. ٢٣ فقال لهما: أما كأسي فتشربانها، وبالصبغة التي اصطبغ بها أنا تصطبغان. وأما الجلوس عن يميني وعن يساري، فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعدَّ لهم من أبي".

[1] لوقا ٢٢:٢٨ "أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي. ٢٩ وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتا. ٣٠ لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا على كراسي، تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر".

[2] أكل المسيح وشربه مع تلاميذه على مائدته مخالف لاعتقادهم بألوهيته، وجلوسه عن يمين الله. كما أنه مخالف لقولهم بأن نعيم الآخرة معنوي، لا طعام فيه، ولا شراب، ولا شهوة. ففي متى ٢٤: ٢٢ قائلين يا معلّم! قال موسى: إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته، ويقم نسلا لأخيه. ٢٥ فكان عندنا سبعة إخوة، وتزوج الأول ومات. وإذ لم يكن له نسل، ترك امرأته لأخيه. ٢٦ وكذلك

ثم قوله لشمعون- حين أتته الجموع فأخذوه: "أم تظن أنـي لسـت قـادرًا أن أطلب إلى أبي، فيقيم لي اثني عشر جندًا من ملائكته أو أكثر؟! ولكن كيف تتم الكتب: أنه هكذا ينبغي أن يكون"[1].

ولم يقل: إني قادر أن أدفعهم عن نفسي. ولا إني آمر الملائكة أن يمنعوا عني- كما يقول من له القدرة والأمر!

ونجدكم تقولون في المسيح ﷺ: إنه مولود من أبيه أزلي.

ويجب على المدعي القول، أن يثبت الحجة فيه. ويعلم أنه مطالـب بإيضـاحها، لاسيما في مثل هذا الخَطْب الجليل، الذي لا يقع التلاعب به، ولا تجترئ النفوس على ركوب الشبهات فيه. والويل الطويل لمن تأول في ذلك تأويلا لا حقيقة لـه! فإنه يهلك نفسه ومن كان من الناس معه ممن يتبع قوله.

إن كان هذا الابن أزليًا على ما في شريعة إيمانكم، فليس هذا بمولود. وإن كان مولودًا فليس بأزلي؛ لأن اسم الأزلية إنما يقع على من لا أول له، ولا آخر.

ومعنى المولود: أنه حادث مفعول. وكل مفعول فله أول. فكيفما أردتم القـول فيه كان بطلان الشريعة[2]!

الثاني، والثالث إلى السبعة. ٢٧ وآخر الكل ماتت المرأة أيضـا. ٢٨ ففـي القيامـة لمـن مـن السـبعة تكون زوجة؛ فإنها كانت للجميع؟ ٢٩ فأجاب يسوع، وقال لهم: تضلون إذ لا تعرفـون الكتـب، ولا قوة الله ٣٠ لأنهم في القيامة لا يزوجون، ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء.

وفي الرسالة إلى رومية ١٤:١٧ "لأن ليس ملكوت الله أكلا وشربا. بل هـو بـر وسـلام وفـرح في الروح القدس".

[1] متى٢٦:٥٣ "أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي، فيقدم لي أكثر من اثني عشـر جيشـا من الملائكة؟! ٥٤ فكيف تكمل الكتب، إنه هكذا ينبغي أن يكون".

[2] المقصود هنا معنى مجازي، وكثيرا ما يجري هذا في لغتهم، كما في رسـالة يوحنـا الأولى ٣:٩ "كـل من هو مولود من الله لا يفعل خطية؛ لأن زرعه يثبت فيه؛ ولا يستطيع أن يخطـئ؛ لأنـه مولـود مـن الله".

ونسألكم أيضًا عن واحدة: لِمَ سميتم الأب أبًا، والابن ابنًا. فإنه إن كان وجب للآب اسم الأبوة لقدمه، فالابن أيضًا يستحق هذا الاسم بعينه؛ إذ كان قديمًا مثله. وإن كان الآب عالمًا عزيزًا، فهو أيضًا عالم عزيز. تشهد شريعة الإيمان له بذلك في قولها: إنه خلق الخلائق كلها. وأتقنت على يده. وأنه نزل لخلاصكم...!

ومن قدر على ذلك لم يكن إلا عالمًا عزيزًا. فهذه المعاني التي ذكرناها، تُبطل اسم الأبوة والبنوة. وفي إبطالها بطلان الشريعة التي تقول: "ولد من أبيه"[1]. وإلا فإن كان الآب والابن متكافئين في القدم والقدرة، فبأي فضل وسلطان للآب عليه أمره ونهاه. فصار الآب باعثا، والابن مبعوثا، والآب متبوعًا مطاعًا، والابن تابعًا مطيعًا؟!

ومما يشهد بصحة قولنا، وبطلان ما تأوله أولوكم في عبودية المسيح: أن متَّى التلميذ حين بنى كتابه الإنجيل، أول ما ابتدأ به أن قال: "كتاب مولد يسوع المسيح، ابن داود، بن إبراهيم"[2].

فنسبه إلى من كان منه على الصحة. ولم يقل: إنه ابن الله[3]، ولا إنه إله من

---

[1] وهذا يتفق مع الدراسات اللغوية الحديثة في الكتاب المقدس التي توضح أن لفظ الآب في اللغة السريانية كان بمعنى "الله". فإذا كان عيسى قد استخدمها فإنما كان يستخدمها بمعنى "الله"، لا بمعنى الوالد (انظر: محمد عزت الطهطاوي: بشائر الرسالة المحمدية، ط٢، مكتبة النور، القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ص٤٧-٤٨).

[2] ١:١ "كتاب ميلاد يسوع المسيح، ابن داود ابن إبراهيم".

[3] لم يدعِ عيسى قط أنه ابن الله ولا حتى ادعى أنه المسيح المنتظر. وهذه نتيجة أكيدة لدراسات الباحثين- كما يقرر شارل جينيير، وأن "ابن الله" لم يكن في الواقع ليمثل- بالنسبة إلى اليهود- سوى خطأ لغوي فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين. كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير "ابن الله" على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية؛ إذ إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما

إله- كما يقولون.

فإن قلتم: إن تسمية يسوع للناسوت- الذي قد جعلتموه حجة بينكم وبين كل من التمس الحجة منكم عند الانقطاع- فيما يعترف به للمسيح من العبودية. فقد نسّق متّى على اسم يسوع- الذي هو عندكم اسم للناسوت- المسيح الذي هو جامع الناسوت واللاهوت. فأي حجة في إبطال هذا التأويل أوضح من هذا؟!

ومما يصحح قولنا ويؤكده، قول جبريل الملك لمريم عند مخاطبته إياها: "إنه ابن داود"[1]. على ما ثبت من ذلك في الإنجيل.

ووجدناكم قد ذكرتم في شريعة الإيمان: أن يسوع المسيح "بكر[2] الخلائق". فإن كنتم ذهبتم في ذلك إلى أنه على نحو ما يُسَمَّى أولُ ولد الرجل وكبيرُهم- فجائز. وهو محقق لقولنا في عبوديته.

استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع، وقد وجدنا فيها معاني عميقة، وعلى قدر كاف من الوضوح بالنسبة إليهما.

وفي موضع آخر، يبين جينيبر مصدر تعبير "ابن الله"، فاليهودي يمكن أن يعتبر نفسه: "عبدا ليَهْوَه"، لا "ابنا ليهوه". ونعتقد أن عيسى قد تصوَّر نفسه "عبدًا لله"، وتقدم للناس بهذه الصفة. والكلمة العبرية "عبد" كثيرا ما تُترجم إلى اليونانية بكلمة تعني "خادما" و"طفلا" على سواء. وتطور كلمة "طفل" إلى كلمة "ابن" ليس بالأمر العسير. ولكن مفهوم "ابن الله" نبع من العالم الفكري اليوناني (شارل جينيبر: المسيحية نشأتها وتطورها، ص٥٠-٥١).

[1] لوقا ١:٣٠ "فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريما لأنك قد وجدت نعمة عند الله ٣١ وها أنت ستحبلين وتلدين ابنه وتسمينه يسوع. ٣٢ هذا يكون عظيمًا وابن العلي يُدعى، ويُعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه".

[2] بكر: بِكرُ كُلِّ شيء أوّله وكُلُّ فَعْلَةٍ لم يتقدمها مثلها بِكْرٌ، والبِكْرُ أوّل ولد الرجل، غلامًا كان أو جارية وهذا بِكْرُ أبويه أي أول ولد يولد لهما، وكذلك الجارية بغير هاء وجمعهما جميعًا أبكار (لسان العرب ٤/٧٧).

وإن كنتم أردتم بذكر البكر: أنه أول قديم، فلسنا نعرف للبكر معنى في لغة من اللغات إلا للأكبر من الإخوة، والأول من الولد. وبكر الخلائق لا يكون إلا من الخلائق، كما أن بكر الرجل والمرأة لا يكون إلا من جنسهما. وباكورة الثمار لا تكون إلا ثمرة. ولأن من المحال أن يقول قائل: بكر ولد آدم ملك من الملائكة. وكذلك من المحال أن يكون بكر المصنوعات ليس بمصنوع. وبكر المخلوقات ليس بمخلوق.

وقد قال الله تعالى في التوراة: "يا ابني بكري"[1]. أي إسرائيل.

وقال في موضع آخر: "إنه نظر بنو الله إلى بنات الناس، فشُغِفوا بهن"[2].

فهل يوجب لآل إسرائيل إلهية بهذا القول؟!

وقلتم: "إن المسيح ولد من أبيه قبل العوالم، وليس بمصنوع".

فليس يخلو الآب من أن يكون أولد شيئا موجودًا، أو غير موجود. فإن كان لم يزل موجودًا، فإن الآب لم يلد شيئا، وإن كان غير موجود، وإنما هو حادث لم يكن، فهو مخلوق- كما قلنا.

ومما يُبيِّن قولنا في خلق المسيح: أن هذا الاسم إنما وقع له؛ لأنه مُسِحَ للنبوة والخير. وماسحه الله تبارك وتعالى. وقد قال داود في زبوره قولا يشهد على ذلك بعينه: "من أجل هذا البر، مسحك الله إلهك أكثر مما مسح به نظراءك"[3].

فأبان داود بهذه الآية معنى المسح بإنجيله، وأن ماسحه الله إلهه، وأنه مصطفى

---

[1] خروج ٤:٢٢ "فتقول لفرعون: هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر".

[2] تكوين ٦:٢ "إن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتّخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا".

[3] مزامير ٤٥:٧ "أحببت البر، وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج، أكثر من رفقائك".

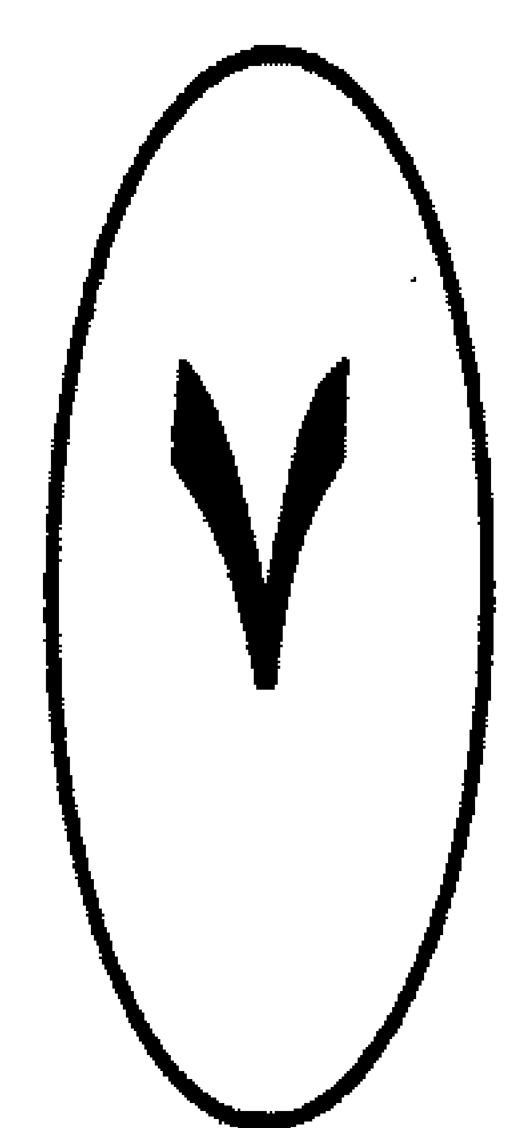
مكرم بزيادة على نظرائه.

وقال داود أيضًا في مزمور إحدى وثلاثين[1] يخاطب الله: "من أجل داود عبدك، لا يغلب وجه مسيحك. عهد الرب لداود بالحق، ولا يرجع عنه"[2].

يعني بمسيحه نفسه؛ لأن الله مسحه للنبوة والملك. وقد قال مثل هذا في غير موضع من زبوره. فسمى نفسه مسيح الله.

[1] في الأصل: "مزمور إحدى وثلاثين". والصحيح أنه مزمور اثنين وثلاثين ومئة.

[2] مزامير ١٣٢:١٠ "من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك ١١ أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه: من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك".



تأويل الآيات المشكلات التي استدل بها النصارى على ألوهية المسيح

وإذا نظر (المتأمل) في الإنجيل، وكتُبِ بولس[1]، وغيره ممن يحتج به النصارى، وجد نحوًا من عشرين ألف آية مما فيه اسم المسيح، وكلها تنطق بعبودية المسيح، وأنه مبعوث مربوب، وأن الله اختصه بالكرامات، ما خلا آيات يسيرة مشكلات،

---

[1] بولس الرسول: اسمه الحقيقي شاؤل، ويعد المؤسس الحقيقي للديانة النصرانية، وإليه ينسب عمل جوهري في تطور النصرانية، والفصل بينها وبين شريعة موسى من خلال رسائله التي نسخ فيها الشريعة الموسوية نسخا تامًا. وزعم أن عيسى- عليه السلام- نزل من السماء بعد سنين من رفعه إليها، وقابل بولس وهو منطلق إلى مدينة دمشق في رؤيا، وقال له: يا بولس انطلق بإذني وأمري بدعوتي إلى أمم وملوك وبني إسرائيل. وليس ثمة ما يبين ما هي الدعوة الجديدة التي لقنها عيسى لبولس. والظاهرة من رسائل بولس أنه يدعو بدعوة من تلقاء نفسه، ويشرع للناس ما استحسنه من عنده.

وأما على المستوى العقدي، فإنه يمكننا أن نقول: إن بولس لم يعرف التثليث، ولم يقصد البنوة الحقيقية، ولا مساواة عيسى لله تعالى، وهذا ما يقرره مؤرخ المسيحية "شارل جينيبر". ومن خلال رسائل بولس نفسه ينبهنا إلى أقصى ما ذهب إليه بولس من وجوب ألا نقول بالخلط بين السيد المسيح وبين الله، فمثل هذا الخلط لا يمكن تصوره لدى بولس. فما كانت فكرة الثالوث لتخطر بباله قط، فالسيد عنده- أي عيسى، يهيمن عليه الله، وهو طوع أمر الله "حتى الموت". و"خاضع له تمام الخضوع". ولا نجازف بالقول عندما نرى أن نص الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس يحكم سائر جوانب المسألة. وفيما يلي هذا النص: "بالنسبة إلينا نحن على الأقل: ليس هناك سوى إله واحد هو الآب، منه كل شيء، ونحن فيه، وليس هناك سوى سيد واحد هو عيسى المصلوب، به كل شيء، ونحن به". وهكذا، فمهما بلغ أمر "السيد" من خطورة ووجوب بالنسبة إلى عمل الله فإنه لا يتساوى معه قط (شارل جينيبر: المسيحية نشأتها وتطورها ص١٣٦-١٣٧).

قد تأولها كل فريق من اولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم، فأخذوا بذلك التأويل الفاسد، وتركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته.

فلو كانوا قصدوا الحق، لردوا تلك المشكَلات الشاذة اليسيرة التي يوجد لها من التأويل خلاف ما يتأولونه- على الواضحات الكثيرة التي قد بانت بغير تأويل؛ لأنه إنما يجب أن يُقاس الجزء على الكل، ويُستدل على ما غاب بما حضر، وعلى ما أشكل بما ظهر.

فمن تلك الآيات المشكَلات ما ذكرناه في كتابنا هذا، وبيَّنا معناه والحجة فيه، وأنه ليس كما تأوَّلوه.

ومنها ما يحكون عن المسيح أنه قال: "أنا بأبي"[1].

وقد فسر المسيح ﷺ ذلك وكشفه. قال يوحنا في إنجيله: "إن المسيح تضرع إلى الله في تلاميذه. وقال: يا أيها الرب القدوس! احفظهم باسمك الذي أعطيتني؛ ليكونوا هم أيضًا شيئًا واحدًا، كما أنا شيء واحد، وكما أنك أرسلتني إلى العالم، كذلك أرسلهم أنا أيضًا"[2].

ثم قال بعد هذا أيضًا: "إني قد منحتهم من المجد الذي أعطيتني ومنحتني، ليكونوا أيضا شيئا واحدًا، كما أنا شيء واحد. فأنا بهم، وأنت بي"[3].

---

[1] يوحنا ١٠:٣٠ "أنا والآب واحد". يوحنا ١٤:١٠ "ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيَّ؟! الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال".

ويوضح أنه مجازي قوله (يوحنا ١٤:٢٠): "في ذلك اليوم تعلمون: أني أنا في أبي وأنتم فيَّ، وأنا فيكم".

[2] يوحنا ١٧:١١ "ولست أنا بعد في العالم، وأما هؤلاء فهم في العالم وأنا آتي إليك. أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحدا كما نحن... ١٧:١٨ كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم".

[3] يوحنا ١٧:٢٢ "وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحد كما أننا نحن واحد. ٢٣ أنا فيهم وأنت فيَّ، ليكونوا مكملين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني".

معنى ذلك أنه قال: أنت معي، وأنت لي، كما أنا مع تلاميذي ولهم[1].

أو يكون ذهب فيه إلى معنى دقيق لا نعرفه، إلا أنه قد بطل على كل حال- بهذا القول- تأويلكم ممازجته ﷺ في اللاهوت، بقوله في تلاميذه: إنه بهم كما أن أباه به؛ لأنه إنْ تأوَّل متأوِّل في هذا المعنى: أنه ذهب في وصفه أنه أبوه[2]، وأن أباه به- إلى مشاركته في اللاهوت. فقد قال في تلامذته مثل هذا القول، فيجب أن يكونوا على هذا القياس شركاء في المحل. وهذا ما لا يكون، ولا يجترئ على القول به أحد[3].

ويؤكده أيضًا قوله في نفس الموضع (يوحنا ١٧:٢١): "ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الأب فيَّ، وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني".

[1] قال ابن تيمية معلقا: "قلت: أو أراد: أنك بي هديت الخلق وعلمتهم، وأنا أهديهم وأعلمهم والباء للسببية، فإن الله برسله هدى عباده وعلمهم والرسل علموا الغائبين عنهم بالحاضرين الذين بلغوا عنهم، وقوله: "ليكونوا شيئا واحدًا"، أراد به اتفاق صدقهم وأمرهم ومرادهم. وهذا مفسر. وقد قال: "ليكونوا هم شيئا واحدًا، كما أنا شيء واحد". فقد طلب لهم مثل ما حصل له ولربه. وهذا يبين أن قوله: "كما أنا شيء واحد". أي أنا موافقك في أمرك ونهيك ومحبتك ورضاك لم يُرد بذلك اتحاد ذاته به كما لم يُرد أن تتحد ذوات بعضهم ببعض، فإنه طلب لهم مثل ما حصل له من الموافقة لأمر الله ونهيه ومحبته ورضاه".

[2] في الأصل: "أبيه". والصواب ما أثبتناه.

[3] تظهر الدراسات الحديثة في مقارنة الأديان في هذا الموضع، ومن ذلك شهادة مجموعة من الأكاديميين ورجال اللاهوت النصارى في كتابهم: "أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح". بأن التجسد غير موجود بالأناجيل، وإنما هو فكرة نمت وتطورت، وأحيانا تنمو وتتطور هذه الأفكار على خط شخصي أكثر، فيتحدثون عن المسيح كابن الله الذي كان موجودا دائما ثم نزل إلى الأرض. وكل الأناجيل- حتى الإنجيل الرابع- لم تصل إلى نقطة التأكيدات التي طبعت العقيدة المتأخرة للتجسد.

والمحصلة لهذا هي أن عقيدة التجسد كانت واحدا من أساليب فكرية متعددة، قال بها المسيحيون عن عيسى، إلا أن هذا الأسلوب صار العقيدة الواحدة التي بعد تطويرها ونموهـا أسست نفسها باعتبارها نموذجا لكل الأفكار عن عيسى في الإيمان اللاحق للكنيسة (انظر: أسطورة تجسد الإلـه في السيد المسيح، ص٣٠-٣١).

وعلى الطريق نفسه يبين شارل جينيبر أن الأسطورة الشرقية القديمة التي تدور حول فكرة إلـه متجسد، يموت ثم يبعث ليسير بأتباعه نحو حياة الخلود، تسربت إلى ضمير المجتمعات المسيحية، أو على الأقل منها تلك المتأثرة بالفكر اليوناني، فلم يلبث عيسى أن تحول بها من مسيح يهودي وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليوناني، ولا يفهمها أهل اليونان، إلى عيسى المسيح السيد والمنقذ ابن الله وخليفته على الأرض، الذي يهتف باسمه سائر المؤمنين، وتنحني لـه الخليقة كلها إكبارا وإجلالا (المسيحية نشأتها وتطورها، ص٦٦-٦٧).

خاتمة

اختلاف النصارى في أصل دينهم واتفاق المسلمين في أصل الدين

ومن أعجب العجب أن تكون أمة كتابها ودعوتها ومعبودها واحد، يتمسكون بأمر المسيح ﷺ وتلامذته وإنجيله وسننه وشرائعه، وهم مع ذلك مختلفون فيه أشد الاختلاف!!

فمنهم من يقول إنه عبد!

ومنهم من يقول إنه إله!

ومنهم من يقول إنه ولد!

ومنهم من يقول إنه أقنوم وطبيعة!

ومنهم من يقول إنه أقنومان وطبيعتان!

وكل منهم يكفر صاحبه، ويقول: إن الحق في يده.

وكلهم لا يأتي من الكتاب بحجة واضحة، يثبت بها دعواه، ولا من قياسه لنفسه. وتأوله بما يصح له عند المناظرة. وإنما يرجع في دينه واعتقاده إلى ما تأوله له المتأولون، بما يخالف إنجيلهم وكتبهم بالهوى والعناد من بعضهم لبعض. فهم يشركون بالله على التأويل. ولا شريك له. ويدَّعون له ولدًا من جهة ما أحدثوا لأنفسهم. سبحانه أنَّى يكون له ولد؟!

وقد بيَّنا الحجج في بطلان كل قول لكم مما عقدتم به شريعة إيمانكم، ووجدنا قومًا منكم إذا نُوظروا في ذلك قالوا: قد وجدنا أكثر الأديان يختلف أهلها فيها، ويتفرقون على مقالات شتى هم عليها، وكل منهم يدعي أن الصواب في يده.

وهذا أيضًا من سوء الاختيار، وذهاب القلوب عن رشدها، وانصرافها عن سبيل حقها. فلم يختلف أهل دين من الأديان في عقد معبودهم، ولا شكوا فيه، ولا تفرقوا القول فيما اختاروه، إلا أهل ملل النصرانية فقط.

وسائر من سواهم، إنما اختلفوا في فروع من فروع الدين وشرائعه، مثل اختلاف اليهود في أعيادهم وسنن لهم. ومثل اختلاف المسلمين في القدر. فمنهم من قال به، ومنهم من دفعه.

وفي تفضيل قوم من أصحاب محمد على نظرائهم بعد اتفاق جماعتهم على إلههم ومعبودهم وخالقهم، وأن الله إله الخلق كلهم، واحد لا شريك له، ولا ولد.

ثم اتفاقهم بعد ذلك على نبيهم محمد، لا يشكون فيه، وعلى القرآن، وأنه كتاب الله المنزَّل على محمد المرسل، لا يختلفون فيه.

فإذا صح اتفاقهم على هذه الأصول[1]، كان ما سواها خللا، لا يقع معه كفر، ولا يبطل به دين[2].

والبلاء العظيم الاختلاف في المعبود. فلو أن قومًا لم يعرفوا لهم إلهًا، ولا دينا، ثم عُرض عليهم دين النصرانية، لوجب أن يتوقفوا عنه؛ إذ كان أهله لم يتفقوا على شيء فيه. ودلَّ اختلافهم في مقالاتهم ومباينتها ما في كتبهم على باطله.

فأما قولنا في باب التوحيد، واعترافنا بوحدانية الله تعالى، ونفينا عنه الشركاء

---

[1] يتفق جميع المسلمين على أركان الإسلام الخمسة وهي: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام بمكة لمن استطاع إليه سبيلا. ويتفقون على القرآن الكريم، لا يزيدون فيه حرفا، ولا ينقصون حرفا. وقبلتهم واحدة في صلاتهم. ويحرمون الخمر والميسر، والدم، ولحم الخنزير.

[2] لم يكفِّر علماء المسلمين إلا أصحاب البدع المكفِّرة كغلاة الشيعة من الباطنية والإسماعيلية والعلويين، والجهمية. فلم يحكموا بالكفر على الخوارج، ولا المعتزلة، ولا الأشاعرة ولا عموم الشيعة.

والأنداد والأمثال والأولاد. فهو قول لا يشكون في صحته، ولا يشك فيه أحد من أهل الكتب وسائر الملل، ولا غيرهم من أهل القول بالدهر[1]، وسائر عبدة الأصنام والأوثان. وكل منهم يُقِرُّ به، ويرجع إليه.

إلا أن منهم من يتابعنا على تجريد[2] التوحيد، ومنهم من يدخل العلل فيه، بأن يقول: ثلاثة ترجع إلى واحد، وصنمًا نعبده إجلالا لله؛ ليقربنا إلى ربنا وربه[3]، ومدبر للأمور قديم، لابد أن نعترف به خالقها وباريها.

وكل منهم مقرٌّ بقولنا، وذاهب إلى مذهبنا على الاعتراف بالله على الجهة التي يذهب إليها. وأنه واحد لا شريك له.

فقد صح عقدنا بلا شك منكم، ولا من أحد من الأمم فيه، ولا في شيء منه. بل تقودكم الضرورة إلى الإقرار به، والاجتماع معنا عليه.

والحمد لله رب العالمين على توفيقه. وإياه نسأل: أن يُتم علينا فضله، ويُديم لنا تسديده بقدرته، وأن يُحيينا ويُميتنا على الإسلام، غير مشركين، ولا جاحدين، ولا مبدِّلين، إنه على كل شيء قدير، وكل مستصعب عليه يسير، وهو- بمن خافه واتقاه، وطلب ما عنده، ولم يلحد في دينه- رءوف رحيم[4].

---

[1] أهل القول بالدهر: المقصود بهم الدهرية، فإنهم قالوا: إن العالم قديم، لا أول له، فلا حيوان إلا من حيوان آخر قبله، ولا زرع إلا من بذر قبله. فينكرون الصانع، وينكرون حدوث الأجسام والأعراض، بدعواهم وجود جميعها في كل حال، على شرط كمون بعضها، وظهور بعضها من غير حدوث شيء منها في حال الظهور. وهذا إلحاد وكفر (الفرق بين الفرق، ص١٢٨).

[2] في الأصل: "تحديد". والأوضح للمعنى ما أثبت.

[3] يقول الله سبحانه عن هؤلاء: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} (الزمر:٣).

[4] كتب ابن تيمية هنا معلقًا: "قلتُ: هذا آخر ما كتبتُهُ من كلام الحسن بن أيوب. وهو ممن كان من أجلاء علماء النصارى، وأخبر الناس بأقوالهم. فنقله لقولهم أصح من نقل غيره. وقد ذكر في

المراجع

كتب السنة

١. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط٣، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير- اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. المسند: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

الأديان والمقارنة بينها

١. إظهار الحق: رحمت الله بن خليل الله الهندي، ط٣، دراسة وتحقيق: د.محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢. الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية: د.يحيى هاشم فرغل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م

٣. أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح: بروفيسور جون هك، وآخرون، تعريب: د.نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٥. إفحام اليهود: السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، تحقيق: د.محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٩٠م.

٦. بشائر الرسالة المحمدية: محمد عزت الطهطاوي، ط٢، مكتبة النور، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٧. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة المدني، جدة، د.ت.

٨. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ.

٩. الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت ٥٠٥هـ)، ط٢، تحقيق: د.محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، القاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٠. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الطبعة الثانية ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م.

١١. الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

القواميس والمعاجم

١. دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١م.

٢. قاموس الكتاب المقدس: لجنة من الأساتذة واللاهوتيين، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧١.

٣. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت.

٥. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

٧. معجم البلدان: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

٨. النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.